النَّجْمُ الثَّاقِبِ

لتوضيح عجائب وغرائب أنواع السارق

(وفيه بيان أوصاف من صار من جملة "لصوص الدعوة" الذين جحدوا نعمة الله بعدما كانوا عليها)

جمعه:

أبو عبد الله بلال الفرنسي الليوني

قرأه وقدم له:

فضيلة الشيخ أبي عمار ياسر الدبعي العدني

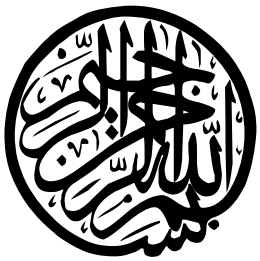

الطبعة الثانية

١٤٤٥هـ

كل الحقوق محفوظة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

لفضيلة الشيخ أبي عمار ياسر الدبعي العدني

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم، أما بعد:

فقد اطلعت على رسالة أخينا أبي عبد الله بلال الفرنسي الموسومة بـ «**النجم الثاقب لتوضيح عجائب وغرائب أنواع السارق**» فألفيتها قد حوت مسألة مهمة ألا وهي: جحود النعمة والتنكر لمن له فضل عليك بعد الله. وهذه من أسواء الأخلاق التي ينبغي لطالب أن يحذرها.

فمن بركة العلم عزوه إلى قائله، وذكر شيخك بالجميل وعدم احتقار أقرانك.

فشكر الله لأخي بلال الفرنسي على هذه الرسالة المختصرة المفيدة.

وكتبه: أبو عمار ياسر العدني

حضرموت – مكلا

٢١/ ذو الحجة/ ١٤٤٠هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله حمدا طيبا مباركا فيه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﷺ، **أما بعد:**

فيقول الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز: ﴿**وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ**﴾ [النحل: ٥٣] ويقول: ﴿**وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ**﴾ [إبراهيم: ٣٤].

فأعظم نعمة الله على العبد – على الإطلاق –: نعمة الإسلام ثم نعمة الاستقامة، قال الله ﷻ: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**﴾ [المائدة: ٣] دينا واستقامة عليه مما لا يرزقه الله إلا لمن علم فيه خيرا وقبولا ونفعا – لنفسه أولا ثم لغيره – كما دل عليه قوله ﷻ: ﴿**إِنْ يَعْلَمِ اللهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا**﴾ [الأنفال: ٧٠].

فبمفهوم هذه الآية الكريمة يظهر أن الله لو علم أن فيهم شرٌّ أتاهم شرا جزاء وفاقا لما فيهم من الخبث والكبر والفساد والخذلان ولذا قال ﷻ: ﴿**إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ * وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا**

دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٢-٢٤].

ولا شك ولا ريب أن العلوم الشرعية هي من أعظم أسباب إحياء قلوب العباد بعد أن كانت ميتة قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]، وقال سبحانه: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ﴾ [الأنعام: ١٢٢]، وقال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية [الإسراء: ٨٢].

وفي "الصحيحين" [١] عَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالعِلْمِ، كَمَثَلِ الغَيْثِ الكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ، قَبِلَتِ المَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الكَلَأَ وَالعُشْبَ الكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ، أَمْسَكَتِ المَاءَ، فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لاَ تُمْسِكُ مَاءً وَلاَ تُنْبِتُ كَلَأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللهِ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ».

فكان ينبغي – بعد ذلك – على كل عبدٍ عاقل فاطن أن يسعى إلى ذلك السبب الأعظم، ولا يقصر ولا يكسل في تحصيله والاجتهاد والإحسان فيه حتى تتحقق له الحياة الحقيقية – الحياة الإيمانية الروحانية – والجزاء الأخروية العظيمة فيصير من عباد الله المتقين الفائزين المفلحين من الذين وصفهم الله في كتابه الكريم الذي

---

[١] (خ/ ٧٩) و(م/ ٢٢٨٢).

ينطق بالحق: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وفي قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣]، وقال ﷻ: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [يونس: ٦٢-٦٤].

ومن أوضح علامة ولاية الله للعبد وأعظم سبب الوصول إلى هذه الأوصاف الكريمة: (طلب العلم الشرعي والتفقه فيه) كما قال النبي ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَاللهُ يُعْطِي». الحديث [١]، مما يدل على أن للعلم وطلبه شرف وفضل عظيم.

[١] متفق عليه (خ/ ٧١) و(م/ ١٠٣٧) عن معاوية رضي الله عنه.

فصلٌ

في فضل طلب العلم

ولم أقل: (فضائل طلب العلم) إذ لو ذُكر بصيغة الجمع لأوهم بأنها محصورة على أنواع وعدد معينة، لكن لما أطلق بصيغة المفرد ثم أضيف إلى غيره، أفاد العموم المستغرقة لجميع أفرادها – لا حصر فيها ولا تخصيص – كما هو المبين في قول الله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: ١٨].

فطلب العلم الشرعي أعظم النعمة على العبد بعد إسلامه والاستقامة عليه ولهذا قال الله تبارك وتعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

وقال ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ * قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٧-٥٨].

فهو خير مطلق، لا خير فوقه إلا دخول الجنة ورؤية البارئ فيها ﷻ وقد قال الإمام معمر بن راشد – رحمه الله – في "جامعه":

٢٠٤٧٩ - **أَخْبَرَنَا** عَبْدُ الرَّزَّاقِ، عَن مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ: «مَا عُبِدَ الله بِمِثْلِ الْفِقْهِ» [١].

وقال الله ﷻ: ﴿يَرْفَعِ الله الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

قال قتادة رحمه الله: "إن بالعلم لأهله فضلا وإن له على أهله حقًا، ولعمري للحقّ عليك أيها العالم فضل، والله معطي كل ذي فضل فضله" [٢].

وقال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ٢٦٩] قال قتادة: "والحكمة: الفقه في القرآن" [٣].

وقال مالك رحمه الله: "الحكمة: المعرفة بالدين، والفقه فيه، والاتباع له" [٤].

فلا شك أن من رزقه مثل هذه النعمة – طلب العلم والفقه والاتباع – كان من أوجب الواجبات عليه أن يشكر الله تعالى على ذلك.

وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لله وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ [لقمان: ١٢]، وقال الله سبحانه: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

---

[١] سنده صحيح.

[٢] أخرجه ابن جرير الطبري رحمه الله في "تفسيره" (٢٣/ ٢٤٥) بسند صحيح.

[٣] انظر "تفسير الطبري" (٦١٧٩).

[٤] كذلك (٦١٨٨).

وهذا الشكر يضتمن أركانا لازما وهي:

- الاجتهاد فيه.
- الاستمرار عليه.
- العمل به.
- عدم صرفه في الباطل والحرام.
- إضافته إلى منعمه ورازقه.
- والشكر لمن دلّه على هذا الخير وعلمه إياه.

ثم عليه أن يخاف كل الخوف أن يغير الله هذه النعمة عليه قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٥٣]، وقال سبحانه: ﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨].

وقال ﷻ: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾ [النحل: ٨٣].

فصلٌ

في توضيح أنواع سَرقة ولصوص الدعوة

فمن أعظم علامة تغيير نعمة الله على العبد – التي هي طلب العلم والدعوة إليه – بعد أن كان عليها: **أن يصير سارقا أو لصّا للدعوة** [١]، طاعنا فيها، ماكرا بأهلها، بعدما كان من أشد الناس محبة لها واجتهادا فيها ودفاعا عنها.

---

[١] **[تنبيه]** كلمة (فلان سارق الدعوة) أو (لصّ من لصوص الدعوة) عبارة أو حكاية عمن صار يسئ الأدب والمعاملات مع معلّمه وأهل العلم والسلفية بعدما كان من جملة أهلهم وأتباعهم.

وهو اصطلاح شرعي – بالجملة – لما ثبت مرفوعا إلى النبي ﷺ أنه قال: «**أَسْوَأُ النَّاسِ سَرِقَةً الَّذِي يَسْرِقُ مِنْ صَلَاتِهِ**» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَكَيْفَ يَسْرِقُ مِنْ صَلَاتِهِ؟ قَالَ: «**لَا يُتِمُّ رُكُوعَهَا وَلَا سُجُودَهَا**». [أحمد (٢٢٦٤٢) و(١١٥٣٢) وغيره بسند حسن لغيره وقد صححه العلامة الألباني رحمه الله] وقد بوّب عليه الإمام البيهقي رحمه الله: [بَابُ مَا رُوِيَ فِيمَنْ يَسْرِقُ مِنْ صَلَاتِهِ فَلَا يُتِمُّهَا].

(**قلت**) فبين نبينا محمد ﷺ هاهنا أن للدين والعبادة سرقة فكان دليلا صريحا على جواز إطلاق اللفظ (فلان يسرق في صلاته) أو (قلان سارق الصلاة) من غير نكارة إن شاء الله!

وقد عرف نحو هذه العبارة عند أهل العلم – قديما وحديثا – كقولهم (فلان سارق البحوث) كما عرف به – وبئس التعرّف – علي الرازحي في دار الحديث بدماج سابقا، وكذا عند المتقدمين من أهل الحديث لما أطلقوا على بعض الضعفاء في الحديث كلمة (فلان يسرق الحديث) أي: كان يقلب الحديث أو يرفع الموقوفات متعمدا قال الإمام الذهبي رحمه الله "**الموقظة**" (ص٦٠): "**المقلوب**: هو ما رواه الشيخُ بإسنادٍ لم يكن كذلك، فيَنقلِبُ عليه ويَنُطُّ من إسنادِ حديثٍ إلى مَتْنٍ آخَرَ بعدَه. أو: أن يَنقلِبَ عليه اسمُ راوٍ. فَمَن فعَلَ ذلك خطأً، فقريب. ومَن تعمَّد ذلك وركَّبَ متناً على إسنادٍ ليس له، **فهو سارقُ الحديث**، وهو الذي يقال في حَقِّه: "فلانٌ يَسرِقُ الحديث". انتهى بتصرف، وقد ذكره ابن دقيق العيد في "**الاقتراح**" (ص٢٦)، وكذا الزركشي في "**النكت**" (٢/ ٢٩٩)، وغيرهم. =

قال السخاوي ﷺ في "فتح المغيث" (١/ ٣٣٦) ناقلا عن العراقي: "وَمِمَّنْ كَانَ يَفْعَلُهُ بِهَذَا الْمَقْصِدِ عَلَى سَبِيلِ الْكَذِبِ حَمَّادُ بْنُ عَمْرٍو النَّصِيبِيُّ، أَحَدُ الْمَذْكُورِينَ بِالْوَضْعِ، كَمَا وَقَعَ لَهُ; حَيْثُ رَوَى الْحَدِيثَ الْمَعْرُوفَ بِسُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَفَعَهُ: «إِذَا لَقِيتُمُ الْمُشْرِكِينَ فِي طَرِيقٍ، فَلَا تَبْدَءُوهُمْ بِالسَّلَامِ» عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ أَبِي صَالِحٍ; لِيُغْرِبَ بِهِ، وَهُوَ لَا يُعْرَفُ عَنِ الْأَعْمَشِ كَمَا صَرَّحَ بِهِ الْعُقَيْلِيُّ، وَقَدْ قِيلَ فِي فَاعِلِ هَذَا: (**يَسْرِقُ الْحَدِيثَ**)". اهـ

وقال في موطن آخر ﷺ (٢/ ١٢٥): "(**سَرِقَةُ الْحَدِيثِ**) أَنْ يَكُونَ مُحَدِّثٌ يَنْفَرِدُ بِحَدِيثٍ، فَيَجِيءُ السَّارِقُ وَيَدَّعِي أَنَّهُ سَمِعَهُ أَيْضًا مِنْ شَيْخِ ذَاكَ الْمُحَدِّثِ، **وَلَيْسَ كَذَلِكَ مَنْ يَسْرِقُ الْأَجْزَاءَ وَالْكُتُبَ ; فَإِنَّهَا أَنْحَسُ بِكَثِيرٍ مِنْ سَرِقَةِ الرُّوَاةِ**". انتهى بتصرف، ومعنى قوله (أَنْحَسُ) أي: أقبحُ وأشد.

وقد أطلقها شيخنا العلامة يحيى الحجوري في بعض دروسه في دماج على بعض الحزبيين – وقد سمعته بأذنيّ –.

فإن قال قائل: «أنا ما سمعت الشيخ يقول بذلك، فأنا لا أقبل هذا الخبر منك». **لقيل له**: لنا القاعدة المشهورة لدي أهل العلم ~ **أن نفي العلم بشيء ليس بعلم** ~ وكذا ~ **المثبت مقدم على النافي** ~، وأيضا ~ **من حفظ حجة على من لم يحفظ** ~...

(**فأقول**) بل، وقد صرح بها شيخنا يحيى في شرحه على "**لامية ابن الوردي**" (ص٩٧) لما قال: (ومِن أردى وأفسد المؤسسات "مؤسسة صناع الحياة" التابعة لذلك الزائغ عمرو بن خالد المصري وأضرابه من **اللصوص على حساب دين الله**). اهـ وكذلك أطلقها شيخ شيخنا الإمام القدوة مقبل بن هادي ﷺ في بعض الفتاوى – في شريط "**القول النقي في عقد سلفي**" – لما قال: (ورد في "مسند أحمد" أن النبي ﷺ قال لعبد الله بن بسر: «**عشر قرنا**» فعاش مائة سنة، ومن العجائب والغرائب أن عبد العزيز الخولي المعلق على "**سبل السلام**" قال: هذا لم نجده في الكتب المعتمدة، وأخذها محمد صبحي الحلاق كما أفادنا أخونا محمد بن قائد، وقال: "هذا لم نجده – **سارق يا إخواننا الحلاق هذا** – والحديث في "مسند أحمد). انتهى بتصرف، انظر "**مجموع فتاوى العلامة مقبل الوادعي**" عند السؤال (لماذا يكون فهم السلف الصالح واجب الاتباع؟)، وعلى مثل ذلك – استعماله ﷺ كلمة (فلان سارق الدعوة) – قد شهد بعض طلابه الأفاضل ومنهم: أخونا المفضال الداعي إلى الله الشيخ صلاح الدين الجيبوتي كما أخبرني بذلك.

=

وهذه سنة الله في خلقه وعدله في أرضه أن ما من داع إلى الله ﷻ يُعلِّم الناس الخير والحق ويرشدهم إليه إلا وصار من تعلم منه على قسمين – لا محالة –:

❊ (**قسمٌ**) استفاد منه علما وعملا، فشكر له ثم نفع غيره في المجتمع وأهله – بين المستقلل والمستكثر – والفضل بيد الله.

❊ و(**قسمٌ آخر**) كفرَ بنعمة الله وأساء إليه غاية الإساءة، فتولى عنه وجعل يطعن فيه، وفي علمه ودينه، ويفسد في الأرض ولا يصلح.

وهذه السنة الإلهية العجيبة أول ما ظهر منها – فيما نعلم – كان عند ابتداء الخلق كما أخبرنا الله تبارك وتعالى بذلك عندما قال لملائكته: ﴿**إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ * وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا**

وقد قال أيضا ﷺ في رسالته "**ذم المسألة**" (ص٢٧٤): (فنصيحتي للدعاة إلى الله أن يستعفوا وهكذا نصيحتي للفقراء أن يصبروا وأنصحهم أن يسألوا الله من فضله، والأغنياء الذين لا يؤتون الزكاة أو يؤتونها في غير مصرفها **وهكذا لصوص الدعوة** الذين يستغلون الأموال لصالح الحزبية...). اهـ

وقد أثبتها أيضا شيخنا المحدث الجليل أبو عمرو الحجوري في مقدمة تحقيقه لـ "رياض الصالحين" فقال هناك (ص٤٩): (...وأنا أعرف أن بعض **سرّاق المحققين** – وللأسف أنه يدعي محاربة ذلك – له أكثر من عقد من زمان وهو يزمجر بتحقيقه لهذا الكتاب، ولم نره...) إلخ كلامه والله المستعان.

كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ * وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٠-٣٤].

والظاهر أن قول الملائكة ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: ٣٠] ليس من باب الإعتراض على الله – على أصح القوال –، وإنما من باب الامتحان والفتنة لإبليس لقول الله تعالى إجابة للملائكة – وهم لا يعصون الله ما أمرهم أبدا –: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: ٣٣]، قال مجاهد: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: "عَلِمَ مِنْ إِبْلِيسَ الْمَعْصِيَةَ، وَخَلَقَهُ لَهَا" [١].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في "تفسيره" (ص١٣٣): "فالرب تعالى كان يعلم ما في قلب إبليس من الكفر والكبر والحسد ما لا يعلمه الملائكة. فلما أمرهم بالسجود ظهر ما في قلوب الملائكة من الطاعة والمحبة، والخشية والانقياد، فبادروا إلى الامتثال، وظهر ما في قلب عدوه من الكبر والغش والحسد". انتهى

فعندئذ أظهر إبليس ما كان يكتم في نفسه فقال: ﴿أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ [الإسراء: ٦١]، ومما كان يكتمه: العجب والكبر والحسد لقوله: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢].

وكذا: ﴿أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾ ثم زاد عليه بالبغي والإعتداء فقال: ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٦٢].

---

[١] صحيح. أخرجه ابن بطة في "الإبانة" (١٧٣٥) وكذا عبد الرزاق في "تفسيره" (٣٦) ولله الحمد.

وأخيرا، كمل المصيبة بالإنتقاد على الله ﷻ لما قَالَ: ﴿فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف: ١٦].

ولم يكن قوله ﴿فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ إلا للإعتراض والقدح في عدل الله سبحانه وحكمته وكماله، فطُرد من نعمه ورحمته فقيل له: ﴿فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٣].

فعلى هذا، فكل من صار سارقا للدعوة وطاعنا في عدالة دعاتها لا بد أن تتحقق فيه هذه الأوصاف الرديئة تحقيقا كليا أو جزئيا:

- **العجب.**
- **الكبر.**
- **الحسد.**
- **الخيانة والخداعة والمكر.**
- **الإعتراض والانتقاد والاحتقار.**
- **الإعتداء والبغي.**
- **الطرد والإبعاد والتحذير من فتنته.**

وأول من ابتلي بهذا الصنف العجيب بعد ذلك – اتباعا لسنة الله في خلقه –:

۞ **أبونا نبي الله آدم** عليه السلام وذلك عند قول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [التغابن: ٢]، وقال ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

وفي الحديث عَنْ مُسْلِمِ بْنِ يَسَارٍ الْجُهَنِيِّ، قَالَ: قَرَأَ الْقَعْنَبِيُّ الْآيَةَ ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] فَقَالَ عُمَرُ: «سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ سُئِلَ عَنْهَا، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ الله ﷻ خَلَقَ آدَمَ، ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ بِيَمِينِهِ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً، فَقَالَ: خَلَقْتُ هَؤُلَاءِ لِلْجَنَّةِ وَبِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَعْمَلُونَ، ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً، فَقَالَ: خَلَقْتُ هَؤُلَاءِ لِلنَّارِ وَبِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ يَعْمَلُونَ». الحديث [١]

وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ [٢]، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَمَّا خَلَقَ الله ﷻ آدَمَ ضَرَبَ كَتِفَهُ الْيُمْنَى فَأَخْرَجَ ذُرِّيَّتَهُ بَيْضَاءَ كَأَنَّهُمُ الدُّرُّ، ثُمَّ ضَرَبَ كَتِفَهُ الْيُسْرَى فَأَخْرَجَ ذُرِّيَّةً سَوْدَاءَ كَأَنَّهُمُ الْحِمَمُ، فَقَالَ: «هَؤُلَاءِ إِلَى الْجَنَّةِ وَلَا أُبَالِي، وَهَؤُلَاءِ إِلَى النَّارِ وَلَا أُبَالِي».

ففي هذه الأدلة الجلية بيان واضح بأنه سيكون في ذرية آدم عليه السلام من لا يتبعه ولا يقتدي به – في طاعة الله – ولا يحترمه، وهذا ليس خاصا بآدم عليه السلام بل هو عام لكل معلِّم الخير لقول النبي ﷺ: «إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ بِمَنْزِلَةِ الْوَالِدِ، أُعَلِّمُكُمْ» [٣].

فلما ثبت أن ذرية أبينا آدم عليه السلام ستكون على قسمين ولا بد، ثبت بالقياس الجلي في كل معلّم – لأن الكل بمنزلة الوالد لأتباعهم – أنه سيكون في طلابه وأتباعه ذلك أيضا ولا بد، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ

---

[١] صحيح. أخرجه أبو داود (٤٧٠٣) وغيره وصححه الشيخان العلامة الألباني والعلامة مقبل بن هادي رحمهما الله.

[٢] صحيح. أخرجه الطبراني في "مسنده للشاميين" (٢٢١٣) وكذا أحمد في "مسنده" (٢٧٤٨٨) وصححه العلامة مقبل بن هادي رحمه الله في "الجامع الصحيح" (١/ ٣٨٠).

[٣] حسن. أخرجه أبوداود (٨) وغيره وقد حسنه الشيخان الألباني ومقبل بن هادي رحمة الله عليهما.

فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا * إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٢-٣].

۞ وقد حصل هذا الأمر العجيب لعدد من الأنبياء والمرسلين عليهم السلام أيضا، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾ [النحل: ٣٦].

۞ فمنهم لوط ونوح عليهما السلام كما في قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: ٢٦].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ [التحريم: ١٠].

قال الإمام أبو جعفر الطبري رحمه الله (٢٣/ ٤٩٧): "ذُكر أن خيانة امرأة نوح زوجها أنها كانت كافرة، وكانت تقول للناس: **إنه مجنون**. وأن خيانة امرأة لوط، أن لوطًا كان يُسِرّ الضيف، **وتَدُلّ عليه**". انتهى

۞ وكذا لإبراهيم عليه السلام لما قال الله تعالى في الآية السابقة: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: ٢٦].

وقال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا * فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ٥٤-٥٥].

وقال ﷻ: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤].

قال الشوكاني رَحِمَهُ اللهُ في "فتح القدير" (١/ ١٦٠): "فَأَخْبَرَهُ أَنَّ فِيهِمْ عُصَاةً وَظَلَمَةً، وَأَنَّهُمْ لَا يَصْلُحُونَ لِذَلِكَ، وَلَا يَقُومُونَ بِهِ، وَلَا يَنَالُهُمْ عَهْدُ اللهِ سُبْحَانَهُ". اهـ

۞ **وحتى نبي الله موسى** عَلَيْهِ السَّلَامُ ما سلم من ذلك فقد وجد في أتباعه من يلومه كما قال الله تعالى مخبرا عن قصته: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ * قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ * فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ * فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [القصص: ١٥-١٩].

۞ **وكذا نبي الله عيسى بن مريم** عَلَيْهِ السَّلَامُ ابتلي بذلك فوجد في أتباعه – بعدما علمهم التوحيد والاستقامة – وجد من يمكر به ويسيء إليه كما قال الله تعالى مخبرا عن قوله ودعوته: ﴿إِنَّ اللهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ * فَلَمَّا

أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى الله قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ الله آمَنَّا بِالله وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ * رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ * وَمَكَرُوا وَمَكَرَ الله وَالله خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ٥١-٥٤]، وقال ﷻ: ﴿فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ﴾ الآية [الصف: ١٤].

قال الإمام السمعاني رحمه الله (١/ ٣٢٣): "وَالْمُرَاد بمكرهم هَا هُنَا: أَنهم احْتَالُوا لقتل عِيسَى، فَقَالَ رجل: أَلا أدلكم على الْبَيْت الَّذِي فِيهِ عِيسَى، فَجَاءُوا مَعَه الْبَيْت الَّذِي كَانَ فِيهِ عِيسَى، فرفعه الله إِلَى السَّمَاء، وَألقى شبه عِيسَى على من دلهم عَلَيْهِ، فَأَخَذُوهُ، وَهُوَ يَصِيح: لست بِعِيسَى، فَقَتَلُوهُ، وَقيل: إِن الدَّال كَانَ وَاحِد من الحواريين؛ فَذَلِك مكر الله ﴿وَالله خير الماكرين﴾". اهـ

۞ وقد حصل – أيضا – مثل هذا لنبينا محمد ﷺ كما تقدم الحديث عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَثَلُ مَا بَعَثَنِي الله بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالعِلْمِ، كَمَثَلِ الغَيْثِ الكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ، قَبِلَتِ المَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الكَلَأَ وَالعُشْبَ الكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ، أَمْسَكَتِ المَاءَ، فَنَفَعَ الله بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لاَ تُمْسِكُ مَاءً وَلاَ تُنْبِتُ كَلَأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ الله، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي الله بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى الله الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ».

وكذا الحديث عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ «أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي المَسْجِدِ وَالنَّاسُ مَعَهُ إِذْ أَقْبَلَ ثَلاَثَةُ نَفَرٍ، فَأَقْبَلَ اثْنَانِ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ وَذَهَبَ وَاحِدٌ»، قَالَ: «فَوَقَفَا عَلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَأَمَّا أَحَدُهُمَا: فَرَأَى فُرْجَةً فِي الحَلْقَةِ فَجَلَسَ فِيهَا، وَأَمَّا الآخَرُ: فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ، وَأَمَّا الثَّالِثُ: فَأَدْبَرَ ذَاهِبًا، فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ الله ﷺ قَالَ:

«أَلاَ أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفَرِ الثَّلاَثَةِ؟ أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى الله فَآوَاهُ الله، وَأَمَّا الآخَرُ فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا الله مِنْهُ، وَأَمَّا الآخَرُ فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ الله عَنْهُ» [١].

ومنه: قصة «الْعُرَنِيِّينَ»، وَقَدْ خَرَّجَاهُ فِي "الصَّحِيحَيْنِ" مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ ﷺ: «أَنَّ أُنَاسًا مِنْ عُرَيْنَةَ قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ الله ﷺ الْمَدِينَةَ فَاجْتَوَوْهَا، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنْ شِئْتُمْ أَنْ تَخْرُجُوا إِلَى إِبِلِ الصَّدَقَةِ، فَتَشْرَبُوا مِنْ أَلْبَانِهَا وَأَبْوَالِهَا، فَافْعَلُوا» فَفَعَلُوا فَصَحُّوا، ثُمَّ مَالُوا عَلَى الرِّعَاءِ، فَقَتَلُوهُمْ، وَارْتَدُّوا عَنِ الْإِسْلَامِ، وَسَاقُوا ذَوْدَ رَسُولِ الله ﷺ» الحديث. [٢]

ومنه: قصة ذي الخويصرة التي رواها الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ (٣٦١٠) عن أَبي سَعِيدٍ الخُدْرِي ﷺ قَالَ: «بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ وَهُوَ يَقْسِمُ قِسْمًا، أَتَاهُ ذُو الخُوَيْصِرَةِ، وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، فَقَالَ: "يَا رَسُولَ الله اعْدِلْ"، فَقَالَ: «وَيْلَكَ، وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ، قَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ». فَقَالَ عُمَرُ: «يَا رَسُولَ الله، ائْذَنْ لِي فِيهِ فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ؟» فَقَالَ: «دَعْهُ، فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلاَتَهُ مَعَ صَلاَتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَقْرَءُونَ القُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يُنْظَرُ إِلَى نَصْلِهِ فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى رِصَافِهِ فَمَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى نَضِيِّهِ، - وَهُوَ قِدْحُهُ -، فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى قُذَذِهِ فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، قَدْ سَبَقَ الفَرْثَ وَالدَّمَ». الحديث

---

[١] متفق عليه (خ/ ٦٦) و(م/ ٢١٧٦).

[٢] (خ/ ٢٣٣-) و(م/ ١٦٧١).

(قلت) وهو حديث متفق عليه وفيه من العجيب ودلائل النبوة الكثير ومنها: بيان إلهي واضح على لسان نبيه الكريم ﷺ بأن مِن "أتباعه" أناس ما استفادوا من علمه إلا الكبر والمجادلة والمناقشة بالباطل حرصا على الدنيا وسوء الظن به والطعن في عدالته وعلمه واستقامته وإفشاء ذلك بين أصحابه...

ثم بين – أيضا – بأن هذا الصنف من الناس سيستمر في التاريخ الإسلامي إلى قيام الساعة وذلك في قوله ﷺ (**فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا**) وفي لفظ آخر (**إِنَّ مِنْ ضئضىء هَذَا قَوْمًا**).

قال صاحب "عون المعبود" رَحِمَهُ اللَّهُ (١٣/ ٧٧): "(إِنَّ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا) أَيْ: مِنْ أصله، قال الخطابي: الضئضئي الْأَصْلُ يُرِيدُ أَنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ نَسْلِهِ الَّذِينَ هُوَ أَصْلُهُمْ أَوْ يَخْرُجُ مِنْ أَصْحَابِهِ وَأَتْبَاعِهِ الَّذِينَ يَقْتَدُونَ بِهِ وَيَبْنُونَ رَأْيَهُمْ وَمَذْهَبَهُمْ عَلَى أَصْلِ قَوْلِهِ". انتهى المراد.

ويؤيد ذلك حديث آخر ثابت عند "سنن ابن ماجه" عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**يَنْشَأُ نَشْءٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، كُلَّمَا خَرَجَ قَرْنٌ قُطِعَ كُلَّمَا خَرَجَ قَرْنٌ قُطِعَ، أَكْثَرَ مِنْ عِشْرِينَ مَرَّةً، حَتَّى يَخْرُجَ فِي عِرَاضِهِمُ الدَّجَّالُ**» [١].

---

[١] برقم (١٧٤) وقد حسنه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ ومعنى قوله ﷺ (**فِي عِرَاضِهِمْ**) "فِي خِدَاعِهِمْ أَيْ: أَنَّ آخِرَهُمْ يُقَابِلُهُمْ وَيُنَاظِرُهُمْ فِي الْأَعْلَامِ وَفِي بَعْضِ النُّسَخِ (أَعْرَاضِهِمْ) وَهُوَ جَمْعُ عَرْضٍ بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ بِمَعْنَى الْجَيْشِ الْعَظِيمِ". اهـ قاله السندي في "حاشيته على سنن ابن ماجه" (١/ ٧٤).

قال السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ في شرحه على "سنن ابن ماجه" (ص١٦): "الْحَاصِل أن أهل الْأَهْوَاء، وإن قَاتلهم أهل الْحق فِي قرن وَاحِد أَكثر من عشْرين مرّة، لَا يتركون أهواءهم". اهـ

۞ **فكذلك كل عالم أو داع إلى الله**، لا بد أن يخرج من طلابه وأتباعه – بل وأهله! – من يطعن فيه وفي عدله وفي علمه ويسئ الظن به ويسئ الأدب معه، ولا يشكره على معروفه ويصفه بنحو هذه الألفاظ الشنيعة: (ظالم) و(شاتم)، و(خائن) و(ليس بمخلص)، و(ما عنده علم) أو (ما استفادت منه شيئا)، أو (ما نستفيد كما كان من قبل) أو (ما عنده خير)، و(كذاب)، و(ما خرب الدعوة إلا هو)، و(لا يراجع دروسه)، و(عنده أخطاء كثيرة)، و(لا يحسن اللغة العربية) أو (ليس من العلماء) أو (ليس بشيء) أو (حزبي) أو(متكبر) أو (يكرر الفوائد كثيرا) أو (يكثر الردود) ووو...

ولا يكتفي بإفساد نفسه بهذه الوساوس والظنون الخبيثة بل، لا بد أن ينشرها ويدسها بين صفوف الطلاب للفتنة والفساد والقلقلة والتنفير منه ومِن علمه بعدما استفاد منه وسرق منه علمه ولو قليلا!

فالتاريخ يدور والأقوال تبقى وتشبه بعضها بعضا مع خلاف الزمان والأشخاص أو كما قيل: «مَا أشبه اللَّيْلَة بالبارحة» [١].

---

[١] **[فائدة]** وقد نسب هذا المقال إلى ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كما ذكره أبو جعفر الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ في "تفسيره" (١١/ ٥٥٢) قال: **حَدَّثَنَا** الْقَاسِمُ، قَالَ: ثنا الْحُسَيْنُ، قَالَ: ثني حَجَّاجٌ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، عَنْ عُمَرَ بْنِ عَطَاءٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلُهُ: "﴿**كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ**﴾ [التوبة: ٦٩] قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «مَا أَشْبَهُ اللَّيْلَةِ بِالْبَارِحَةِ ﴿**كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ**﴾ [التوبة: ٦٩] هَؤُلَاءِ بَنُو إِسْرَائِيلَ شُبِّهْنَا بِهِمْ، لَا أَعْلَمُ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: «**وَالَّذِي**

وذلك تحقيقا لقول الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ١١٨]، ولقوله سبحانه: ﴿سُنَّةَ الله الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ الله تَبْدِيلًا﴾ [الفتح: ٢٣].

فهؤلاء سماهم بعض أهل العلم: (سرقات الدعوة) أو (لصوص الدعوة) لاجتماع فيهم وصف واحد جامع للشر الكثير ومانع للخير الكثير ألا وهو: ~ **عدم الاستفادة بعلْمِهم والطعْن فيمن علَّمَهم** ~...

وهم أنواع وأصناف كثيرة لا كثرهم الله! فمنهم:

✧ المبتدع يتعلم عند أهل السنة لأجل الدعوة إلى بدعته «على بصيرة» زعم!!

فيأتي إلى مركز من مراكز أهل السنة قائلا: "سأطلب العلم لأجل الدعوة إلى التبليغية!" – مثلا –، ولم يتفطن هذا المسكين بأن العلم الشرعي والبدعة متضادين لا يجتمعان في محال واحد إلا قليلا أو كما قيل:

نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَتَّبِعُنَّهُمْ حَتَّى لَوْ دَخَلَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ» وسنده ضعيف لعلل ثلاثة فإن فيه:

- ❋ القاسم – شيخ الطبري – اسمه: القاسم بن الحسن و**لا يعرف حاله**.
- ❋ عنعنة ابن جريج وهو **مدلس مشهور**.
- ❋ وفيه عمر بن عطاء بن وراز عن عكرمة وهو **ضعيف**.

[تنبيه] وأما الحديث المرفوع الذي ذكر في آخره فحديث ثابت من غير هذا الطريق عند أحمد (١٠٨٢٧) وابن ماجه (٣٩٩٤) وغيرهما وقد صححه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

«إن هذا العلم نور ولا يؤتي الله نوره للعاصي» [١].

وقال بعض السلف ﷺ: «لا تعطوا اللؤلؤ للخنازير» [٢].

ولربما يدخل بعضهم في صفوف السلفيين لأجل إفساد الدعوة بأفكارهم أو للتجسس عليهم تحقيقا لقول الإمام البربهاري (المتوفى: ٣٢٩هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: (مثل أصحاب البدع كمثل العقارب يدفنون رؤوسهم ويخرجون أذنابهم وإذا تمكنوا، لدغوا). [٣]

وإلا فهذا الصنف من لوصوص الدعوة لا يضرها أبدا فإنها دعوة الله دعوة التي وعد الله بأنه قد حفظها من الدخل فيها ما ليس منها قد قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ الآية [فاطر: ٤٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

---

[١] كما في الأبيات المشهورة عن الإمام الشافعي - ولم يصح نسبتها إليه كما أفاده شيخنا أبو بلال الحضرمي في بعض دروسه الماتعة -:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي ... فأرشدني إلى ترك المعاصي

وقال بأن حفظ العلم نور ... ونور الله لا يؤتاه عاصي

[٢] جاء نحوه في حديث عند ابن ماجه (٢٢٤) عن أنس ﷺ مرفوعا بلفظ: «وَاضِعُ الْعِلْمِ عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ كَمُقَلِّدِ الْخَنَازِيرِ الْجَوْهَرَ وَاللُّؤْلُؤَ وَالذَّهَبَ» وهو ضعيف جدا إذ فيه: حفص بن سليمان الأسدي: متروك.

وقد جاء عن الأعمش بنحوه قال: «لَا تَنْثُرُوا اللُّؤْلُؤَ تَحْتَ أَظْلَافِ الْخَنَازِيرِ» أخرجه علي بن الجَعْد في "مسنده" (٧٦٥) وذكر في (٧٦٦) عَنْ سُفْيَانَ أَنَّهُ قَالَ: خَرَجَ الْأَعْمَشُ فَأَتَاهُ قَوْمٌ، فَسَأَلُوهُ عَنِ الْحَدِيثِ، فَقَالَ لَهُ جُلَسَاؤُهُ: "لَوْ حَدَّثْتَ هَؤُلَاءِ الْمَسَاكِينَ؟" فَقَالَ: «نُعَلِّقُ الدُّرَّ عَلَى الْخَنَازِيرِ؟».

انظر "جامع بيان العلم وفضله" [بَابُ آفَةِ الْعِلْمِ وَغَائِلَتِهِ وَإِضَاعَتِهِ وَكَرَاهِيَةِ وَضْعِهِ عِنْدَ مَنْ لَيْسَ بِأَهْلِهِ].

[٣] مذكور في "طبقات الحنابلة" (٢/ ٤٤) بلفظ: (مثل أصحاب البدع مثل العقارب يدفنون رؤوسهم وأبدانهم فِي التراب ويخرجون أذنابهم فَإِذَا تمكنوا لدغوا وكذلك أهل البدع هم مختفون بين الناس فَإِذَا تمكنوا بلغوا ما يريدون). اهـ

✧ومن هذا النوع - بلا شك - من تعلم عن معلم سلفي فلما رجع إلى بلده لم يجلس عند أهل السنة ولا يفيدهم بل: فتح دروسه للحزبيين وأهل البدعة!

فقيل لهذا الصنف كما روي عن الإمام الأوزاعي رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قال: «مَنْ سَتَرَ عَلَيْنَا بِدْعَتَهُ لَمْ تَخْفَ عَلَيْنَا أُلْفَتُهُ». [١]

✧ من ينسب إلى السلفية أو عالم معين أو مركز ما — وليس منهم أصلا — لأجل صرف وجوه الناس إليه.

وهذا الصنف – للأسف – قد كثر في زماننا هذا فتوسعت القتنة في جميع أطراف الأرض فظهر أناس لا يبالون بأهل العلم ولا يحترمونهم أصلا وإنما يسرقون عليهم الشيء القليل من بعض كتبهم محبة للشهرة والعلو في الأرض لا للاستفادة والانتفاع والعمل بالعلم أبدا، ثم تسمعهم يدندنون بين الناس "شيخنا العلامة! شيخنا، شيخنا!" والشيخ ذاك ربما برئ منهم ويبغضهم ويحذر من أمثالهم لأن العلماء – أهل البصيرة – يعرفون أن هذا الصنف لا يصلح للعلم أبدا ولو تزينوا به ألف سنة وزيادة، لأن قصدهم ليس أن يعملوا به وأنما هو حب الشهرة والرفعة والذكر بين الناس فقط،

---

[١] **ضعيف**. أخرجه ابن بطة في "الإبانة الكبرى" (٥٠٨) وغيره وفي سنده (عَنْ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ). وأخرجه بسند آخر (٤٢٠) وفيه: يَحْيَى بْنُ طَالِبٍ يروي مُحَمد بْن سَهم وكلاهما مجهول حال.

وأما معناه فصحيح للحديث المشهور: «**الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ**» أخرجه أبو داود (٤٨٣٣) وغيره وحسنه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

وليس قصدهم إصلاح أنفسهم ثم إصلاح المجتمع والجماعة وإن زعموه...

بل، ولربما بعضهم يطعن في ذاك العالم بعينه ويقدح في علمه كلما استطاع إليه سبيلا لأنه يعرف من بقايا فطرته أن أهل العلم، لو علموا سره وعادته لتولوا عنه وحذروا منه ولا كرامة مما فيه من الفسق، والمخالفة والعصيان، والخذلان، وسوء الأدب، ونقص الإخلاص...

والله تعالى يقول: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ * وَيُحِقُّ اللهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ [يونس: ٨١-٨٢].

وفي الحديث «مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ، أَوْ لِيُبَاهِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ، أَوْ لِيَصْرِفَ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ، فَهُوَ فِي النَّارِ» [١] كفاية لتذكير الناس بإذن الله تعالى.

ومن هذا الصنف إلحاقا عجيبا:

✧ حزبي خبيث ماكر لما سئل عن أهل السنة «أين مسجدهم؟ أو مدرستهم؟» قال: «نحن أهل السنة ولدينا دروس وعلم وكتب وو...» لأجل صرف الناس إليه وابعادهم عن أهل السنة حسدا ومكرا...

فتجد هذا الصنف العجيب - مما يعتبر "قطاع الطريق" - يدعو إلى نفسه أو إلى حزبه وتمييعه الخطير ويقول متبسما: "نحن أهل السنة"... وإذا سئل عن أهل السنة وأماكنهم لقال: "لا أدري" أو نحو ذلك، وقد ثبت عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود ﷺ، قَالَ: «خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ خَطًّا فَقَالَ: «هَذَا

[١] أخرجه ابن ماجه (٢٥٣) وغيره عن ابن عمر ﷺ وقد حسنه العلامة الألباني رحمه الله.

سَبِيلُ الله»، ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ فَقَالَ: «هَذِهِ سُبُلٌ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ» ثُمَّ تَلَا ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣] ». [١]

ومن هذا الصنف أيضا:

✧من كان منحرفا وحذر منه شيخ من المشايخ فلما مات ذلك العالم صار هذا المفتون يثني على هذا العالم خيرا بل وربما ألف ترجمة له!

فكان ربما يطعن في ذلكم الشيخ في أيامه والوقت أنه حي ويبغضه ويصفه بالألقاب الشنيعة... فلما مات وصار من أئمة الكبار والمراجع، أراد أن يلحق بذاك العالم شرفا فصار يذكره بالخير والإمامة لأجل أن يصرف الوجوه إليه فإذا يقول: "شيخنا قال" و"هكذا كان شيخنا" وو... وهو سارق الدعوة ومن جملة لصوصها ولا يستحي من الله أبدا بل، ربما ألف ترجمة ضخمة في شأن هذا العالم (!) [٢].

ومنهم:

✧من يتعالم على الكتب أو «الانترنت» استقلالا وتعجبا بنفسه ولا يرجع إلى العلماء إلا فيما وافق قوله غالبا.

---

[١] **صحيح**. أخرجه أحمد (٤١٤٢) وغيره، وقد صححه الشيخان: الألباني ومقبل بن هادي – رحمة الله عليهما –.

[٢] كما أخبرني بذلك الشيخ أبو زكريا صلاح الدين – وفقه الله – في شأن من كان يطعن في الشيخ مقبل ﷺ في حياته، فلما مات صار من المدافعين عنه والله المستعان.

وللأسف أيضا أن هؤلاء قد كثروا في زماننا هذا جدا والله المستعان ويحفظنا من شرهم.

فتكلم في العلم من لا يحسن قيل وقال أصْلا ونقْلَ الكلام بين الناس فصْلا، فتظاهر بالعلم والدعوة من لا يحسن العبادة ولا الرواية ولا الاستقامة إنا لله وإنا إليه راجعون.

وإن حصل بين هذا الصنف وغيرهم – من طلاب العلم – نزاع وشقاق أسرعوا إلى المشايخ – من الذين لا يعتمدون على علمهم وطريقتهم أصلا – بالكلام الفصيح والتكلف في العبارة المثرثرة – التي لا فائدة فيها إلا قليلا – تزيّنا لهذا العالم بأنهم من أهل العلم والاستفادة والفصاحة، سارعين في الفتنة وعدم إطفائها، طالبين لحقوقهم مع جهلهم بحقوق الله ﷻ فيما هم فيه من المصائب والتعالم أو كما قيل:

فإن كنت لا تدري فتلك مصيبة وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم

وبعضهم إذا سئل: "لماذا لا تأتي إلى درس المعلم الفلاني؟" لأجاب: "يا أخي! أنا لست بمحتاج إلى الصغار هؤلاء! أنا أتعلم وأخذ من الكبار مباشرة!"... ثم تراه يبقى مدة طويلة هكذا معزولا في بيته مع "الكمبيوتر" حقه و"الواتس" وو... وأخيرا لا تسمع منه آثارا صحيحة تذكر ولا تأثيرا جميلا في قومه عليه يشكر بل، ولربما يسمع منه الوقوع في العجائب بأن يفتي بجواز "البنطال" ويذهب يتحزب فيزكي بعض الحزبيين ويدافع عنهم!...

قال الله تعالى: ﴿اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ الآية [الأنعام: ١٢٤]، وقال: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٥٣].

ويقال لمثل هؤلاء كما قال بعض السلف رحمهم الله:

~ من دخل في العلم وحده خرج منه وحده ~ [١]

وهؤلاء الأصناف الأربعة أو الخمسة السابقة ذكرها إنما فعلوا ذلك - بلا شك ولا ريب - ليتلبسوا زي العلماء لصرف وجوه الناس الجهالة إليهم، فقد قال نبينا محمد ﷺ: «**الْمُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلَابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ**» [٢] فصاروا بسبب ذلك من شرار الخلق قال الإمام ابن القيم رحمه الله: «سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: كما أن خير الناس الأنبياء، فشر الناس من تشبه بهم من الكذابين وادعى أنه منهم وليس منهم، فخير الناس بعدمهم العلماء، **وشر الناس من تشبه بهم يوهم أنه منهم وليس منهم**». اهـ [٣]

---

[١] قال العلامة صالح الفوزان – حفظه الله – في شرحه على "**الأصول الثلاثة**" (ص٤١): "التعلم هنا معناه: التلقي عن العلماء والحفظ والفهم والإدراك، هذا هو التعلم، ليس المراد مجرد قراءة أو "مطالعة حرة" كما يسمونها، هذا ليس تعلما إنما التعلم هو: التلقي عن أهل العلم مع حفظ ذلك وفهمه وإدراكه تمامًا، هذا هو التعلم الصحيح، أما مجرد القراءة والمطالعة فإنها لا تكفي في التعلم وإن كانت مطلوبة، وفيها فائدة لكنها لا تكفي. ولا يجوز التتلمذ على الكتب كما هو الواقع في هذا الوقت، لأن التتلمذ على الكتب خطير جدا يحصل منه مفاسد وتعالم أضر من الجهل، لأن الجاهل يعرف أنه جاهل ويقف عند حده، **لكن المتعالم يرى أنه عالم فيحل ما حرم الله، ويحرم ما أحل الله، ويتكلم ويقول على الله بلا علم فالمسألة خطيرة جدا**". انتهى بتصرف.

[٢] **متفق عليه** (خ/ ٥٢١٩) و(م/ ٢١٣٠) عن أسماء رضي الله عنها.

[٣] من "الداء والدواء" (ص ٣٥).

ومنهم:

✧ **من تعلم في مركز من المراكز ثم ذهب دعوة فجلس في بلده ونصب نفسه للاجتهاد والفتوى - ولم يكن أهلا لذلك - ولم يرجع إلى العلماء والمشايخ - أبدا! - ولم يذكرهم حاليا في دروسه، وأما إذا جاؤوا وزاروه خرج إليهم متفخرا بهم فجلس عندهم وقال: «شيخنا شيخنا» محبة للشهورة فقط.**

ومن فضائح هذا الصنف أنهم لما نصبوا أنفسهم للفتوى والاجتهاد أتوا التخبطات والعجائب في الفقه والمنهاج... ولم يرجعوا إلى العلماء البتة بما يرون في ذلك عيبا وذلة (!) ولم يرجعوا عن أخطائهم - أبدا - لما يرون في ذلك من التقبيح والصغر على أنفسهم والنزول عن رفعتهم المحبوبة (!!).

وإذا نُصحوا في الله أخذتهم العزة بالخطأ وتلفظوا بأساليب التحقير والتعظم لنفسه وحذروا ممن نصحهم وأنكر عليهم تلكم العجائب بل، ربما ألفوا ردودا ورسائل ذات تسمية ضخمة لا أحد يقرأ فيها إلا هم (!)، ولربما وقعوا في الكذب الصريح الفضيح نصرة لأنفسهم (!!) والله المستعان.

وقد تكرر قول أهل العلم في هذه الباب: (من تكلم في غير فنه أتى بتلك العجائب). اهـ

وقد قال نبينا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام: «**إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلاَمِ النُّبُوَّةِ، إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ**» [١]، ويقول الله تبارك وتعالى حذرا من هذا الصنف:

﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ**﴾ [البقرة: ٢٠٤-٢٠٦].

ومنهم:

✧ **من عجز عن طلب العلم فينصرف طاعنا في المعلم أو المركز.**

فتجد هذا الضرب من الناس يأتي لطلب العلم مدة ولا يستطيع أن يصبر على المشقة فيه – كالعزوبية أو الفقر أو الاستمرار على الحفظ والمراجعة ونحو ذلك – فينصرف لكن، لما استحي أن يقول للناس بأنه انصرف لضعفه – في إيمانه أو شخصيته – ستر نفسه وقلب الحقائق فذهب يطعن في البلد أو المركز أو الشيخ بعينه قائلا بأن "العلم عنده قليل" أو أنه "لا يعتني باللغة" أو "يكثر من الردود" أو "لا نستفيد منه كثيرا" أو نحو ذلك! [٢]

---

[١] البخاري (٣٤٨٤) عن أبي مسعود رضي الله عنه.

[٢] (**قلت**) وهذا الصنف تجد كثيرا منهم افتتن فتعصب أخيرا على الحزبية وانحرف كحال كثير من الغرباء الذين تعصبوا على حزب عبد الرحمن العدني وأمثاله، فانصرفوا عن دماج طاعنين في المركز أو الشيخ يحيى والله المستعان.

وقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٧]، وقال ﷻ: ﴿أَلَيْسَ اللهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٥٣]، وقال سبحانه ضربا لأمثالهم: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثَالَ * لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ﴾ الآية [الرعد: ١٧-١٨].

وليعلم هذا الصنف أنهم لا يضرون هذا الداعي أبدا لأن الله تبارك وتعالى وقد وعد المؤمنينبالنصر والدفاع فقال: ﴿إِنَّ اللهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ [الحج: ٣٨]، ويقول تعالى: ﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللهَ بِدِينِكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٦]، ويقول ﷻ ﴿إِنَّ اللهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٨١-٨٢].

وإنما يضرون أنفسهم من حيث لا يشعرون وقد سبحانه ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ [يونس: ٢٣].

وسيرى هذا الصنف أنه - إن قُدِّر بأن يكون لهم طلاب بعد ذلك - فسيحصل لهم عين ما حصل وسيفعل بهم كما قد فعلوا بمعلمهم جزاء وفاقا أو قيل: ~ **كما تُدِيْن تُدَان** ~.

ومنهم:

✧ **من استعجل على الخروج للدعوة والقيام بشؤونها - كالتعليم والفتوى - دون أن يكمل دراسته وتربيته فصار مفسدا فيها.**

فخرجوا واستعجلوا - تعالما وتعجبا بأنفسهم - بلا قدرة على التحقيق والبحث ولا رجوع إلى أهل العلم إذا أشكل عليهم أمر ما، وقد حذر أهل العلم عن مثل هذا الأمر بأن:

~ **مَنْ تَعَجل شَيئا قَبْل أَوَانِه عُوقِبَ بِحِرْمَانِه** ~ [١]

فيخرج ويشتهر بين الناس ثم ربما يسؤال عما لا يحسنه أو يتقدم إلى ما لا يعرفه أصلا فإذا يتخبط ويتتعتع وربما عاند فضل وسقط سقطة واحدة كما دل عليه أثر عَلِي بْن أَبِي طَالِبٍ ﷺ أَنَّهُ مَرَّ بِقَاصٍّ يَقُصُّ، فَقَالَ «هَلْ عَلِمْتَ النَّاسِخَ وَالْمَنْسُوخَ؟» قَالَ: لَا قَالَ: «هَلَكْتَ وَأَهْلَكْتَ». [٢]

وهذا الصنف كثير جدا وكفى لنا عبرة فيما حصل لمحمد الملقب بالإمام وتخبطته في العلم والمنهج وضلاله في العقيدة أخيرا!!

وأضرب لكم مثلا لهذا الصنف:

من خرج للدعوة ولم يتعلم إلا قليلا فسمع قولا واحدا في مسألة ما في العقيدة وظن بأن هذا القول هو الحق المحض لا خلاف فيه، ولا يجوز، ومن خالفه فهو مبتدع ضال -مرجئ - أو نحو ذلك... فأصبح ينصب نفسه إماما ويحذر من كل من خالفه ويفرق بين صفوف السلفيين وطلاب

---

[١] كما ذكره العلامة السعدي ﷺ في "القواعد والأصول الجامعة" (ص٦٠).

[٢] **صحيح**. أخرجه أبو عبيد ﷺ في "الناسخ والمنسوخ" (١) بسند صحيح إليه.

العلم باسم جهله المركب هذا... فإذا المسألة تحقق أنه كان فيها خلاف وأن عامة أهل العلم على خلاف قوله!!! فأصبح يبدع كبار أهل العلم ويرميهم بالجهل والضلال إلخ...

ويخشى على هذا الصنف أنهم إنما تعلموا لأجل أن يقال «شيخ» أو نحوه ويقول الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز: ﴿**لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [آل عمران: ١٨٨].

وقد ثبت الحديث المخوف: «**إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ، وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ**» الحديث. [١]

ومن نتائج هذا الصنف إذن:

- **من تعلم ثم انقلب فتحزّب واعتمد على علمه للدعوة إلى الحزبية والضلال.**

وأمثال هؤلاء كثير وأمر هذا الصنف واضح، وهو شأن كل مفتون مبتدع ضل مضل، إذ كلهم استدلوا بما كان عندهم من العلم على ما كانوا عليه من الأفكار المنحرفة لأجل دعوة الناس إليها وتلبيس الحق بالباطل كما قاله الإمام الشاطبي رَحِمَهُ اللَّهُ في "**الاعتصام**" (١/ ٥٤): "ولذلك تجد المبتدع

---

[١] مسلم (١٩٠٥) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ينتصر لبدعته بأمور تخيل التشريع ولو بدعوى الاقتداء بفلان المعروف منصبه في أهل الخير". انتهى

كما هو شأن الجهمية لما قالوا بخلق القرآن واستدلوا على قولهم بقول الله تعالى: ﴿**خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ**﴾ [الأنعام: ١٠٢] قالوا: "والقرآن شيء" [١].

وكما هو الحاصل أيضا في قصة الخوارج مع ابن عباس ﷺ كما أخرجه عبد الرزاق الصنعاني رحمه الله في "**مصنفه**" (١٨٦٧٨) وفيه قوله ﷺ لهم: «أَخْبِرُونِي مَا تَنْقُمُونَ عَلَى ابْنِ عَمِّ رَسُولِ الله ﷺ وَخَتَنِهِ وَأَوَّلِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَأَصْحَابُ رَسُولِ الله ﷺ مَعَهُ؟» قَالُوا: "نَنْقُمُ عَلَيْهِ ثَلَاثًا"، قَالَ: «وَمَا هُنَّ؟» قَالُوا: "أَوَّلُهُنَّ أَنَّهُ حَكَّمَ الرِّجَالَ فِي دِينِ الله وَقَدْ قَالَ الله: ﴿**إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لله**﴾ [الأنعام: ٥٧]"» الحديث [٢].

فهؤلاء يسرقون بعض الأدلة وشيئا من العلم من الكتاب والسنة أو أقوال العلماء لأجل الدعوة إلى ضلالتهم **والكل حجة عليهم يوم القيامة** لما تركوا العمل بما نقلوه من الحق لقول النبي ﷺ: «**وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ**» [مسلم (٢٢٣)].

وفي بعض الآثار المرويات: (الْعِلْمُ عِلْمَانِ: عِلْمٌ فِي الْقَلْبِ فَذَلِكَ الْعِلْمُ النَّافِعُ وَعِلْمٌ عَلَى اللِّسَانِ فَذَلِكَ حُجَّةُ الله تَعَالَى عَلَى ابْنِ آدَمَ). [٣]

---

[١] كما ذكره ابن أبي العز رحمه الله في "**شرحه للطحاوية**" (ص١٧٨).

[٢] وقد حسنها العلامة مقبل بن هادي رحمه الله في "**الجامع الصحيح**" (٣/ ٢٢٤).

[٣] **ضعيف مرفوعا**. أخرجه ابن المبارك في "**الزهد**" (١١٦١) وابن أبي شيبة في "**المصنف**" (٣٤٣٦١) والدارمي في "**سننه**" (٣٧٦) وغيرهم مرسلا من طريق الحسن البصري عن النبي ﷺ به. =

(قلت) ومن أعظم علامة هذا الصنف العجيب الخطير ما عُرف عند أهل العلم بـ (التَّلَوُّن) [١]، فيصير هذا الطالب الذي كان على الجادة والاستقامة ينكر ما كان يعرفه ويحبه ويعرف ما كان ينكره ويبغضه انتكاسا وتحقيقا لما جاء عن حذيفة ﷺ «فَإِنَّ الضَّلَالَةَ حَقٌّ، الضَّلَالَةُ أَنْ تَعْرِفَ الْيَوْمَ مَا كُنْتَ تُنْكِرُ قَبْلَ الْيَوْمِ، وَأَنْ تُنْكِرَ الْيَوْمَ مَا كُنْتَ تَعْرِفُ قَبْلَ الْيَوْمِ، وَإِيَّاكَ وَالتَّلَوُّنَ فَإِنَّ دِينَ الله وَاحِدٌ» [٢].

ومثال لذلك: أن من الناس بعدما تعلموا شيئا من قواعد الجرح والتعديل فافتتنوا بالحزبية، ذهبوا يقلبون تلكم القواعد والأصول العظيمة فيجعلونها دلالة على الباطل الذي صاروا عليه كما صدر من مشايخ كتاب

وقد واصله ابن بشران في "أماليه" (١٢٢٤) عن الحسن عن أنس مرفوعا به وفيه: يوسف بن عطية: متروك وفيه: عبد السلام بن صالح: واه شيعي.

وأخرجه أيضا الجرجاني في "ترتيب الأمالي" (٣٠٠) وفيه: يوسف بن عطية المتروك آنفا وفيه: صَالِحُ بْنُ عَبْدِ الْكَبِيرِ الْمُسْجَعِيُّ والظاهر أنه تصحيف والصواب: صالح بن عبد الكبير المسمعي: مجهول العين.

[فائدة] قد روي من قول فضيل بن عياض كما في "شعب الإيمان" للبيهقي (١٦٨٦) لكن سنده منقطع بين عَلِي بْن حَكِيمٍ الْأَوْدِيَّ (ثقة) وبين الْفُضَيْل بْن عِيَاضٍ إذ لا يعرف له سماع منه ولا إمكان اللقي وإنما سمع ممن سمع من فضيل كابن المبارك وابن عيينة فالله أعلم، وأما من حيث معناه فجميل وصحيح للحديث المتقدم.

[١] ولأخينا الداعي إلى الله الشيخ أبي فيروز الإندونيسي بحث جميل ومفيد في التحذر من "التلون في الدين" وقد طبع في دار الحديث بدماج سابقا.

[٢] **حسن لغيره**. أخرجه معمر بن راشد في "جامعه" (٢٠٤٥٤) وابن الجعد في "مسنده" (٣٠٨٤) وكذا ابن أبي أسامة في "بغية الباحث" (٤٧٠) بسند حسن.

"الإبانة" المزعوم كمحمد الملقب بـ (لإمام) ومعه البرعي وشلته وفي الأخير: ابن حزام، وأمثالهم كثيرون جدا!!

والكل يدور حول قواعد وأفعال أبي الحسن المأربي المصري كالقاعدة التميعية المشهورة: (التثبت البدعي) [١]، وكذا القاعدة (لا نجرح ولكن ننصح) [٢]، وكذا مع الشلة الأخيرة الذي ردوا جرح أهل العلم - الثقات - باسم القاعدة (الاستفاضة) [٣] وغير ذلك وهو ليس بيسير!

فلا شك أن هذا الصنف استحق الحكم بالضلالة حق الضلالة فقد قال الله تعالى: ﴿**فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**﴾ [الحج: ٤٦].

---

[١] وهو قولهم: (إني لا أقبل جرح الشيخ الفلاني في شخص معين حتى أقف على أدلته) وهذا تقليب للحقائق والقواعد السلفية إذ التثبت أمر مشروع - نعم - لكن في خبر الفاسق إجماعا أو خبر المسلم الثقة إذا عُرف منه كثرة الخطأ أو الاستعجال في النقل - مثلا -، وأما في خبر العالم الثقة فلا يجوز رد خبره وجرحه في الشخص المعين لأنه عالم والعلماء ثقات وهذا يعتبر تشكيكا في ثقته وعدالته!

[٢] أي: بأن من نصح على ترك البدعة والحزبية ولم يقبل ولم يغير حاله لا يستحق أن يجرح وإنما يقال: (سلفي مخطئ) زعموا باسم "الإنصاف!" و"الإنصاف!"، نعم، ينصح الذي وقع في بدعة بالتي هي أحسن في أول الأمر بلا شك لكن، إذا استمر على بدعته بعد ذلك ألحق بها فيبدع ويفسق ولا كرامة.

[٣] أي: بأن أهل العلم العدول إذا جرحوا شخصا معينا بجرح مبهم - الذي لم يتبين برهانه - لا يقبل منهم باسم الشهرة عند الناس واستفاضة سلفيته بينهم.

وأقول: نعم (الاستفاضة) و(الشهرة) بين الناس معتبرة في رد الجرح لهذا المعين لكن متى؟ فالجواب: **(أولا) إذا تكلم في الأئمة الكبار** المعروفين بالسنة والاستقامة كسفيان الثوري ومالك والشعبي - مثلا - وفي زماننا كالعلامة ابن باز والألباني وأمثالهما. **(ثانيا) وإذا كانت الاستفاضة والشهرة حاصلة بين أهل العلم والسلفيين** لا بين الجهالة العوام والحزبيين!! انظر لمزيد تفصيل في ذلك "المقدمة" لابن صلاح (ص١٠٥) و"ضوابط الجرح والتعديل" للشيخ عبد العزيز آل عبد اللطيف (ص٢١).

وقال سبحانه: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٤]، وقال ﷻ: ﴿إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ٣٠].

✧ من تعلم العلم ثم انصرف إلى الدنيا والانشغال بها ولا يفيد غيره.

لقد كفينا موعظة فيما ذكره الله ﷻ في كتابه الكريم: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٥-١٧٦].

قال الإمام البغوي رحمه الله في "تفسيره" (٣/ ٣٠٤): "وَهَذِهِ أَشَدُّ آيَةٍ عَلَى الْعُلَمَاءِ، وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ أَخْبَرَ أَنَّهُ آتَاهُ [آيَةً] مِنِ اسْمِهِ الْأَعْظَمِ وَالدَّعَوَاتِ الْمُسْتَجَابَةِ وَالْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ، فَاسْتَوْجَبَ بِالسُّكُونِ إِلَى الدُّنْيَا وَاتِّبَاعِ الْهَوَى تَغْيِيرَ النِّعْمَةِ عَلَيْهِ وَالِانْسِلَاخَ عَنْهَا، وَمَنِ الَّذِي يَسْلَمُ مِنْ هَاتَيْنِ الْخُلَّتَيْنِ إِلَّا مَنْ عَصَمَهُ اللهُ؟". انتهى

قال بعض السلف رضي الله عنهم: «لاَ يَنْبَغِي لِأَحَدٍ عِنْدَهُ شَيْءٌ مِنَ العِلْمِ أَنْ يُضَيِّعَ نَفْسَهُ». [١]

---

[١] **صحيح**. قاله ربيعَة بن أبي عبد الرَّحْمَن شيخ الإمام مالك كما ذكره البخاري معلقا في "صحيحه" (ص٢٧) [بَابُ رَفْعِ العِلْمِ وَظُهُورِ الجَهْلِ] وكذا البغوي في "شرح السنة" (١/ ٣١٨) [باب قبض العلم]، وقد واصله الحافظ ابن حجر رحمه الله في "تغليق التعليق" (٢/ ٨٥) بسند صحيح.

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في "الفتح" (١/ ٢٢٤): "وَمُرَادُ رَبِيعَةَ أَنَّ مَنْ كَانَ فِيهِ فَهْمٌ وَقَابِلِيَّةٌ لِلْعِلْمِ لَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُهْمِلَ نَفْسَهُ فَيَتْرُكَ الِاشْتِغَالَ لِئَلَّا يُؤَدِّيَ ذَلِكَ إِلَى رَفْعِ الْعِلْمِ". اهـ

وقد قال العلماء: (كل من ترك الحق فإنه يبتلى بالباطل).

✧ **من يجلس عند عالم لأجل أن يستفيد من الدعوة — أكلا وشربا أو مالا أو زوجا — فيتمتع باسمها ولا يريد الإفادة لنفسه ولغيره أصلا.**

فيأتي إلى أحد المشايخ والمراكز فيجلس عندهم مدة طويلة وسنين ويأكل ويتمتع بالصدقة جُعلت أصلا لطلاب العلم خاصا ويأكلها ولا يريد طلب العلم لا جملة ولا تفيصلا!

ويتلبس بالعلم – دفترا وقلما – في وقت الدروس ولكن لا يلتفت إليه ولا يفتحه ولا يكتب فيه أبدا! – **مجرد زينة أو "دِيْكُور"!!** –.

ويبقى هكذا مدة طويلة بلا تحصيل علمي ولا هامة عالية، عبارة عن "عنكبوت الدعوة" تنتظر رزقها بلا تعب ولا كلفة ويكتفي بحضور الدروس العامة والضحك على ما قاله الشيخ أحيانا!...

وقد قال الله ربنا الحق: ﴿**وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**﴾ [العنكبوت: ٤١]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ**﴾ [التوبة: ٣٤].

وقال ﷻ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾ [طه: ١٢٤-١٢٦].

ثم لا بد أن مثل هذا الصنف يفتضح عند الامتحان والسؤالات فلا يستطيع الإجابة عن أدناها، وربما تداخل وخاض فيما لا يحسن وأتى بالعجاب والفضائح فتعَجب الناس منه...

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**لَيْسَتِ السَّنَةُ بِأَنْ لَا تُمْطَرُوا، وَلَكِنِ السَّنَةُ أَنْ تُمْطَرُوا وَتُمْطَرُوا، وَلَا تُنْبِتُ الْأَرْضُ شَيْئًا**» [١].

قال شيخنا العلامة يحيى الحجوري في بعض دروسه الماتعة: "هذا الحديث يضرب له الأمثال..."

وممن يشبه هذا النوع في بعض الوجوه:

✧من تعلم العلم لأجل الوظيفة الدينية أو الدنيوية لا لأجل اللّه ونصرة الحق.

والكل مخالفا لقول الله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى الله عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ الله وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨]، ففي قوله تعالى ﴿أَدْعُو إِلَى الله﴾ قال العلماء: "تنبيه على الإخلاص".

قال الإمام الشوكاني رحمه الله (٤/ ٧١): "وَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ كُلَّ مُتَّبِعٍ لرسول الله ﷺ حَقٌّ عَلَيْهِ أَنْ يَقْتَدِيَ بِهِ فِي الدعاء إلى الله، أي: الدعاء إِلَى الْإِيمَانِ بِهِ وَتَوْحِيدِهِ وَالْعَمَلِ بِمَا شَرَعَهُ لِعِبَادِهِ". اهـ

---

[١] أخرجه مسلم (٢٩٠٤).

(قلت) فلما جعل نيته وهامته في طلب العلم الدنيا وزينتها، صار مخالفا لأعظم الوظائف والمسؤولية على الإطلاق: **وظيفة الأنبياء والمرسلين** عليهم السلام.

ويقول الله تبارك وتعالى مذكرا لعباده الصالحين:

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٥-١٦].

وفي الحديث المشهور: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ**». [متفق عليه]

وفي الأخر: «**مَنْ كَانَ هَمُّهُ الْآخِرَةَ، جَمَعَ اللهُ شَمْلَهُ، وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتْ نِيَّتُهُ الدُّنْيَا، فَرَّقَ اللهُ عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَه**» [١].

وممن فيه شبه من ذلكم أيضا:

✧من تعالم العلم القليل - أولا - ثم ذهب يعلق ويخرّج على الكتب المعتمدة فيضع عليها اسمه لأجل الشهرة أو أكل الثمن القليل.

فهذا الصنف قد كثر في زماننا هذا مع قلة قدرتهم على التحقيق والبحث وهنا: يفتضحون عند تتبع تعليقهم لمن رُزق الشيء القليل

---

[١] **صحيح**. أخرجه أحمد (٢١٥٩٠) وهو في "الجامع الصحيح" للعلامة مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله.

من العلم، فذاك - مثلا - يعزو حديثا إلى أحمد ثم يضعفه فإذا الحديث متفق عليه!...

وذاك - آخر - يزعم أن الحديث لا يوجد في كتاب من الكتب المعتمدة فإذا الحديث عند أحمد أو نحوه كما تقدم من قول العلامة مقبل بن هادي ﷺ لما قال: (ومن العجائب والغرائب أن عبد العزيز الخولي المعلق على "سبل السلام" قال: هذا لم نجده في الكتب المعتمدة، وأخذها محمد صبحي الحلاق كما أفادنا أخونا محمد بن قائد، وقال: "هذا لم نجده - **سارق يا إخواننا الحلاق** هذا - والحديث في "مسند أحمد").

اهـ كلامه.

✧ **من أكل أموال الدعوة وسرقها على طلاب العلم.**

فيأتي مثل هذا الصنف إلى مركز من مراكز الدعوة ثم يجتهد في التقرب إلى مسؤوليه بكل ما استطاع من الأساليب – ولو المحرمة كالكذب والظلم والتجسس والنميمة! –، ثم لما وصل إلى مقصوده وقد أعطي بعض مفاتيح خزائن الدعوة: بدأ يسرق على الطلاب المجتهدين المساكين أموالهم وأكياس الدقيق ويخزنها ويخبيها لنفسه، نسأل الله السلامة!!

وقد قال الله تعالى: ﴿**وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ**﴾ [آل عمران: ١٦١].

قال القرطبي – رحمه الله – (٤/ ٢٥٦): "غَلَّ فُلَانٌ الْمَفَاوِزَ، أَيْ: دَخَلَهَا وَتَوَسَّطَهَا. وَغَلَّ مِنَ الْمَغْنَمِ غُلُولًا، أَيْ: خَانَ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِما غَلَّ يَوْمَ الْقِيامَةِ﴾ أَيْ: يَأْتِي بِهِ حَامِلًا لَهُ عَلَى ظَهْرِهِ وَرَقَبَتِهِ، مُعَذَّبًا بِحَمْلِهِ وَثِقَلِهِ، وَمَرْعُوبًا بِصَوْتِهِ، وَمُوَبَّخًا بِإِظْهَارِ خِيَانَتِهِ عَلَى رُءُوسِ الْأَشْهَادِ، عَلَى مَا يَأْتِي. وَهَذِهِ الْفَضِيحَةُ الَّتِي يُوقِعُهَا الله تَعَالَى بِالْغَالِّ نَظِيرُ الْفَضِيحَةِ الَّتِي تُوقَعُ بِالْغَادِرِ، فِي أَنْ يُنْصَبَ لَهُ لِوَاءٌ عِنْدَ إِسْتِهِ بِقَدْرِ غَدْرَتِهِ [١]".

ثم قال: "قَالَ الْعُلَمَاءُ: وَالْغُلُولُ كَبِيرَةٌ مِنَ الْكَبَائِرِ، بِدَلِيلِ هَذِهِ الْآيَةِ وَمَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ: «أَنَّهُ يَحْمِلُهُ عَلَى عُنُقِهِ» [٢]. وَقَدْ قَالَ ﷺ فِي مُدْعِمٍ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ الشَّمْلَةَ الَّتِي أَخَذَ يَوْمَ خَيْبَرَ مِنَ الْمَغَانِمِ لَمْ تُصِبْهَا الْمَقَاسِمُ لَتَشْتَعِلُ عَلَيْهِ نَارًا» قَالَ: «فَلَمَّا سَمِعَ النَّاسُ ذَلِكَ جَاءَ رَجُلٌ بِشِرَاكٍ أَوْ شِرَاكَيْنِ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «شِرَاكٌ أَوْ شِرَاكَانِ مِنْ نَارٍ» أَخْرَجَهُ "الْمُوَطَّأُ" [٣]. فَقَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ) وَامْتِنَاعُهُ مِنَ الصَّلَاةِ عَلَى مَنْ غَلَّ دَلِيلٌ عَلَى تَعْظِيمِ الْغُلُولِ وَتَعْظِيمِ الذَّنْبِ فِيهِ وَأَنَّهُ مِنَ الْكَبَائِرِ، وَهُوَ مِنْ حُقُوقِ الْآدَمِيِّينَ وَلَا بُدَّ فِيهِ مِنَ الْقِصَاصِ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ، ثُمَّ صَاحِبُهُ فِي الْمَشِيئَةِ". انتهى المراد بتصرف.

---

[١] أخرجه مسلم (١٧٣٨) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

[٢] **متفق عليه** (خ/ ٢٥٩٧) و(م/ ١٨٣٢) عن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَأْخُذُ أَحَدٌ مِنْ هَذَا الْمَالِ شَيْئًا بِغَيْرِ حَقِّهِ إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى عُنُقِهِ، إِنْ كَانَ بَعِيرًا جَاءَ لَهُ رُغَاءٌ وَإِنْ كَانَتْ بَقَرَةً جَاءَ لَهَا خُوَارٌ وَإِنْ كَانَتْ شَاةً جَاءَتْ تَيْعَرُ**».

[٣] برقم (٩٢٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه وهو متفق عليه (خ/ ٤٢٣٤) و(م/ ١١٥).

[تنبيه]

(قلت) ويلحق بهذا الصنف إلحاقا جليا ما تقدم ذكره في المقدمة من كلام العلامة مقبل بن هادي رحمه الله لما تكلم في الذي يصرفون مشاريع الزكاوات والتبرعات في سبيل الجمعيات والحزبية وقد قال أيضا رحمه الله في رسالته "كم المسألة" (ص٢٧٤): (فنصيحتي للدعاة إلى الله أن يستعفوا وهكذا نصيحتي للفقراء أن يصبروا وأنصحهم أن يسألوا الله من فضله، والأغنياء الذين لا يؤتون الزكاة أو يؤتونها في غير مصرفها **وهكذا لصوص الدعوة الذين يستغلون الأموال لصالح الحزبية**...) اهـ

ومن ذلكم العجائب: طلاب جاء إليهم معلم ما وفتح لهم دروسا لم تكن موجودة من قبل، فلما أرسل إلى ذلكم المعلم بعض الأموال لأجل بناء مدرسة أو مسجد لأجل تقوية دعوته وتأييده أخذ الطلاب تلكم الأموال وتصرفوا فيها كما شاءوا من غير مشاورة معه وأخرجوا المعلم من القضية جملة وتفصيلا وزعموا أن المعلم – عندهم – لا يتدخل في شؤون الدعوة قائلين بلسان المقال: (**درِّسْ ولا تتحاكمْ فينا**) وكان هو السبب لوصول المال إليهم (!) وقد قال نبينا محمد ﷺ تهديدا لمن لا يستحي: «**إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلاَمِ النُّبُوَّةِ، إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَافْعَلْ مَا شِئْتَ**» [١]...

ومن ذلكم أيضا:

✧ **من يسرق الكتب على طلاب العلم.**

---

[١] البخاري (٣٤٨٣) عن أبي مسعود رضي الله عنه.

فيستعر كتبا على طالب العلم بقصد ألا يعودها إليه أبدا.

تقدم ما قال الإمام السخاوي في "فتح المغيث" رحمه الله (٢/ ١٢٥):

((سَرِقَةُ الْحَدِيثِ) أَنْ يَكُونَ مُحَدِّثٌ يَنْفَرِدُ بِحَدِيثٍ، فَيَجِيءُ السَّارِقُ وَيَدَّعِي أَنَّهُ سَمِعَهُ أَيْضًا مِنْ شَيْخِ ذَاكَ الْمُحَدِّثِ، **وَلَيْسَ كَذَلِكَ مَنْ يَسْرِقُ الْأَجْزَاءَ وَالْكُتُبَ**; فَإِنَّهَا أَنْحَسُ بِكَثِيرٍ مِنْ سَرِقَةِ الرُّوَاةِ). انتهى بتصرف، ومعنى قوله (أَنْحَسُ) فجعل هذا الصنف أقبحُ وأشد من سارق الرواية!

قال الإمام القرطبي رحمه الله في "تفسيره" لقوله تعالى السابق: ﴿**وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ**﴾ [آل عمران: ١٦١] (٤/ ٢٥٧): "وَمِنَ الْغُلُولِ: حَبْسُ الْكُتُبِ عَنْ أَصْحَابِهَا، وَيَدْخُلُ غَيْرُهَا فِي مَعْنَاهَا. قَالَ الزُّهْرِيُّ: "إِيَّاكَ وَغُلُولَ الْكُتُبِ. فَقِيلَ لَهُ: وَمَا غُلُولُ الْكُتُبِ؟ قَالَ: حَبْسُهَا عَنْ أَصْحَابِهَا". اهـ

فهذه غاية عجيبة في سوء الأدب مع مربيه بلا شك!

ومن فروع هذا الصنف:

✧الذين يتديّنون من المكاتب التجارية فيأخذون الكتب الكثيرة دَيْنا ثم ينصرفون أو يسافرون ولا يدفعون دُيونهم لأصحاب تلك الكتب أبدا...

وهذا الصنف كالذي قبله قد جمع بين شرين عظيمين:

- الظلم على حق المسلم لما سرق في الأمور التجارية التي يستحق بها التفسيق وذلة والظلمات يوم القيامة لقول النبي ﷺ: «**الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ القِيَامَةِ**». [١]

---

[١] متفق عليه (خ/ ٢٤٤٧) و(م/ ٢٥٧٩) عن ابن عمر رضي الله عنه.

- الظلم بنسبة إلقاء البغضاء والعدواة بين أهل السنة والجماعة أو سوء الظن بهم وسد باب من أبواب الخير لطلاب العلم لحصول عدم ثقة ذاك التاجر لطلاب العلم.

وقد قال النبي ﷺ: «**إِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلْخَيْرِ، مَغَالِيقَ لِلشَّرِّ، وَإِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلشَّرِّ مَغَالِيقَ لِلْخَيْرِ، فَطُوبَى لِمَنْ جَعَلَ اللهُ مَفَاتِيحَ الْخَيْرِ عَلَى يَدَيْهِ، وَوَيْلٌ لِمَنْ جَعَلَ اللهُ مَفَاتِيحَ الشَّرِّ عَلَى يَدَيْهِ**». [١] وهذا الحديث يعتبر أصلا كبيرا في تذكير وتخويف هؤلاء السرقة!!

ومن فروع هذا الصنف وهو إلحاقا وإن كان دونه ضررا:

✧من نظر في كتاب أخيه أو معلمه بغير استئذان سابق.

قال ابن مفلح رحمه الله في "الآداب الشرعية" (٢/ ١٦٦): "[فَصْلٌ فِي نَظَرِ الرَّجُلِ فِي كِتَابِ غَيْرِهِ بِإِذْنِهِ أَوْ رِضَاهُ]

قَالَ الْخَلَّالُ: كَرَاهِيَةُ النَّظَرِ فِي كِتَابِ الرَّجُلِ إلَّا بِإِذْنِهِ، قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ عَسْكَرٍ: كُنْت عِنْد أَبِي عَبْدِ الله - الإمام أحمد -، وَعِنْدَهُ الْهَيْثَمُ بْن خَارِجَةُ فَذَهَبْت أَنْظُرُ فِي كِتَابِ أَبِي عَبْدِ الله فَكَرِهَ أَبُو عَبْد الله أَنْ أَنْظُرَ فِي كِتَابِهِ، وَاطَّلَعَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ مَهْدِيٍّ فِي كِتَابِ أَبِي عَوَانَةَ بِغَيْرِ أَمْرِهِ فَاسْتَغْفَرَ الله مَرَّتَيْنِ". اهـ

---

[١] **حسن**. أخرجه ابن ماجه في "سننه" (٢٣٧) وكذا ابن المبارك في "الزهد" (٩٦٨) وغيرهما عن أنس رضي الله عنه وقد حسنه العلامة الألباني رحمه الله وهو كما قال.

(قلت) فيصير مشبها بالسارق وإن لم يقصد إذ كما جاء في الحديث المشهور: «كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ» [١] فيدخل تحت عمومه كل ما يملكه ومنه: الكتاب.

فلا بد عندئذ من الاستئذان قبل النظر والقراءة فيه امتثالا لقول النبي ﷺ: «لَا يَحِلُّ لِامْرِئٍ مِنْ مَالِ أَخِيهِ شَيْءٌ إِلَّا بِطِيبِ نَفْسِهِ مِنْهُ» [٢] فلا تكن من الغافلين أخي القارئ.

ومن جملة هؤلاء السراق أيضا:

✧ **من تعلم من معلم شيئا ما، فلما ظهر له بعض نقائص معلمه جعل يقفز فوقه فاحتقره ليسقط قيمته بين الناس.**

مخالفا لقول الله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: ٦٠]. فبعد أن تعلموا القليل من العلم – شبه لا شيء! – تعجبوا بأنفسهم ونفخ فيهم الشيطان فتعالوا وجعلوا نفوسهم فوق الجبال العالية على حساب معلمهم!

فأين هؤلاء السفهاء من مقابل الإحسان بالإحسان؟!

وأين هؤلاء من حديث «لَا يَشْكُرُ اللهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ» [٣]؟!

---

[١] أخرجه مسلم (٢٥٦٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

[٢] **حسن لغيره**. أخرجه الدارقطني في "سننه" (٢٨٨١) و(٢٨٨٥) والخرائطي في "مساوئ الأخلاق" (٦٤٢) والبيهقي في "الكبرى" (١١٥٢٤) بأسانيد ما تسلمت من الضعف لكن بجمعها يرتقي إلى درجة الاحتجاج ولله الحمد.

[٣] **صحيح**. أخرجه أبو داود في "السنن" (٤٨١١) وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه وصححه الشيخان: العلامة الألباني والعلامة مقبل بن هادي – رحمة الله عليهما –.

وعجبا كل العجب ما صدر من كثير من هؤلاء في هذه الأزمنة المتأخرة من التشبه بالنساء (!) في كفرهم بالإحسان الذي حذرنا منه نبينا محمد ﷺ لما قال نصحا للنساء - ومن تشبه بهن! -: «**أُرِيتُ النَّارَ فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ، يَكْفُرْنَ الإِحْسَانَ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا، قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ**» [١].

وكذا يعتبر من التشبه بالمشركين لما قالوا لأفضل الأنبياء والمرسلين ﷺ: ﴿**لَسْتَ مُرْسَلًا**﴾ [الرعد: ٤٣] وذلك بعدما رأوا فيه أدنى شيء مما يُرى في غيره من الأمور المباحة (!) فقالوا: ﴿**مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ**﴾ الآية [الفرقان: ٧]...

ومن أنواع هذا الصنف الخبيث - لا كثرهم الله -:

✧ من يجمع أخطاء معلمه على سبيل الانتقاد والطعن لا للنصيحة.

قال الله تعالى: ﴿**هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ**﴾ [آل عمران: ١١٩-١٢٠].

قال العلامة الفوزان - حفظه الله تعالى - في كتابه "عقيدة التوحيد" (ص١٧٤) في بيان أن من أوصاف هؤلاء: "**الحطّ مِن قدْر العلماء بسبب**

---

[١] متفق عليه عن ابن عباس ﷺ (خ/ ٢٩) و(م/ ٨٨٤).

وقوع الخطأ الاجتهادي من بعضهم من طريقة المبتدعة (!)، ومن مُخططات أعداء الأمة (!!)؛ للتشكيك في دين الإسلام، ولإيقاع العداوة بين المسلمين ولأجل فصل خلف الأمة عن سلفها، وبثّ الفرقة بين الشباب والعلماء، كما هو الواقع الآن، فليتنبه لذلك بعض الطلبة المبتدئين". اهـ

❁ ومن علامة هذا الصنف:

✧من كلّم أحد الدعاة والمشايخ في قضية خاصة فسجّل كلامه ونشره بين الناس بغير إذنه قصدا للتحريش واتساع الفتنة.

وهذا الصنف من أخبث هذه الأنواع كلها لما فيه من سوء القصد والخبث والنفاق والنميمة والخداعة والمكر بأهل العلم وقد قال الله تعالى تحذيرا من هذا الصنف من الناس: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النور: ١٩].

وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَاعَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: ١١٨].

وفي الحديث المشهور المخوف المتفق على صحته: «لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَتَّاتٌ» وفي رواية مفسرة له: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَّامٌ». [١]

❁ ومن هذا الصنف:

---

[١] (خ/ ٦٠٥٦) و(م/ ١٠٥).

✧ **أن يتعلم من معلم فيأخوذ الفوائد منه ولا يشكره على ذلك وهذا تحته أنواع:**

١) أنه لا يحترمه بل يحتقره في وقت الدرس وفي غيره.

وذلك بأساليب متنوعة ومتعددة، فتارة بقطع كلامه أمام الناس، وتارة بسؤاله فيما لا فائدة فيه، أو امتحانه (!) بفضول المسائل التي لا قيمة لها أصلا أو التي هي معروفة بين الطلاب، أو يقطع عليه كلامه ويفتي بين يديه ولا يبالي بقوله، وتارة برفع صوته في وقت الدرس وربما قطع كلام المعلم فيه أو ألقى إليه بعض الآيات أو الأحاديث فيما لا داع له رياء للناس، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ٣٧].

وقال سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ [يس: ٧٧].

قال أبو محمد اليافعي (المتوفى: ٧٦٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه "مرآة الجنان" (٢/ ٣٠): "فالمبتدئون [أسرع] إظهاراً لمعرفتهم بالنحو وكذلك يكثرون البحث والتكلم بما هم مترسمون به من بعض فنون العلم، ويضرب لهم مثل في ذلك، فيقال: ~ **الإناء إذا كان ملآن كان عند حمله ساكناً، وإذا كان ناقصاً اضطرب، وتخضخض بما فيه** ~". انتهى

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا * كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ [الإسراء: ٣٧-٣٨].

وقال بعض السلف ﷺ: «كَفَى بِالْمَرْءِ عِلْمًا أَنْ يَخْشَى الله، وَكَفَى بِالْمَرْءِ جَهْلًا أَنْ يُعْجَبَ بِعِلْمِهِ». [١]

٢) أنه لا ينسب إليه الفوائد التي أخذها منه.

فنقلها بين الناس – بعدما تعلمها من معلمه إياه – سواء كان في درس أو كتاب له ولم ينسبها إلى ذلك المعلم حبا للشرف والظهور والإقفاز والاستعجال أو استحياء أنه ليس في هذه المسألة من العلم إلا هذا القول!..

[تنبيه]

وليس من هذا الباب مَن ذكر فائدة ونسيى إلى من ينسبها وإلى من ترجع لأن الله تبارك وتعالى قد رفع وعفى عن هذه الأمة الخطأ والنسيان فقال: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

فعندئذ عليه أن يقول: «قال العلماء» أو نحوه.

ومن علامات ذلكم النوع أيضا:

٣) أنه لا يدافع عنه إذا طعن فيه ظلما.

---

[١] **صحيح**. أخرجه الدارمي في "سننه" (٣٢٢) وغيره عن مسروق بسند صحيح.

فيسمع من يطعن في شيخه ومعلمه طعنا شنيعا وربما كاذبا وبهتا عظيما ولا يرفع به رأسه ولا تأخذه الغيرة في الله لهذا المعلم فيترك عرضه يمزق كل ممزق ولا يبالي ولا ينكر، كأن عرض معلمه – عنده – لا يساوي شيئا، وقد قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لله﴾ [النساء: ١٣٥].

وقال ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ الله كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى الله قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ الله فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ [الصف: ١٤].

وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا الله يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد:٧].

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ (ص٧٨٥): "هذا أمر منه تعالى للمؤمنين، أن ينصروا الله بالقيام بدينه، والدعوة إليه، وجهاد أعدائه". انتهى

ولا شك أن من اعتد على أهل العلم – الذين هم حملة الشريعة – يعتبر من أكبر أعداء هذا الدين...

٤) أنه لا يذكره بالخير جملة وتفصيلا.

وكل ذلك مخالف لما سبق ذكره من قول النبي ﷺ: «**لَا يَشْكُرُ اللهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ**» وكذا في الحديث: «**مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفْ حَقَّ كَبِيرِنَا فَلَيْسَ مِنَّا**» [١].

ويقول الله تبارك وتعالى: ﴿**وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾ [البقرة: ٢٣٧].

فما بالك بمن يستهزئ من معلمه ويحقره؟!

فلا شك أن هذا الصنف من أبعد الناس عن طريق النبي ﷺ للحديث المتقدم ذكره: «**مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفْ حَقَّ كَبِيرِنَا فَلَيْسَ مِنَّا**»...

ومنهم:

✧ **من تعلم عند معلم شيئا ما ثم حاول أن يخبب عليه طلابه.**

فلربما هذا الصنف من الناس يتظاهر – في أول أمره – بالإحترام والنصيحة والمحبة ثم إذا تمكن من قلوب الناس بدأ يخبب ويشحن على معلمه بقوله لطالبه: "ما في بلدكم علم" – كذا مطلقا! – أو بالإشارة في قوله: "إلى متى الفراغ؟!" أو بقوله الآخر: "عليكم بالعلماء!" أو غير ذلك مما – أخيرًا – يتسبب على إلقاء الشحناء في قلوب الطلاب على معلمهم وسوء الظن به بأنهم ما استفادوا منه – أبدًا؟! – فيخببهم ويصرفهم عنه حسدا وبغيا.

---

[١] **صحيح**. أخرجه أبو داود (٤٩٤٣) وغيره عن عبد الله بن عمرو ﷺ وصححه الشيخان الألباني ومقبل – رحمهما الله –.

وفي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ خَبَّبَ امْرَأَةً عَلَى زَوْجِهَا، أَوْ عَبْدًا عَلَى سَيِّدِهِ**» [١].

ومن العجائب أن بعضهم ربما بعدما انصرفوا عن معلمهم وطلب العلم عنده مع عدم قدرتهم على الذهب إلى العلماء بقوا في حيرة وتردد فصاوا ضائعين لا علم لهم ولا قيمة لهم بين الناس...

ومن هذا الصنف العجيب:

✧من يتعلم عند معلم ثم يحاول على إسقاطه عن منزلته ومسؤوليته حسدا لأجل أن يقوم مقامه!

قال الله ﷻ: ﴿**أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ الله مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا**﴾ [النساء: ٥٤] وقال: ﴿**وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ الله عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ الله بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ**﴾ [الأنعام: ٥٣].

وهذا أصل من أصول فتنة إبليس وبغيه على بني آدم عليه لعنة الله.

قال الله ﷻ مخبرا عن قوله: ﴿**فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ**﴾ [الأعراف: ١٦-١٧].

بل، هذا عين فتنته وهؤلاء – الطاعنون في معلمهم للتنفير منه – جند من جنوده – شأوا أم أبوا! –، إذ قصدهم واحد: **(صرف الناس عن الخير الذي هم عليه)!!**

---

[١] **صحيح**. أخرجه أبو داود (٢١٧٥) وغيره وصححه الشيخان – رحمهما الله تعالى –.

وهذا من التشبه بالمشركين قال الله: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٩].

ومنهم أيضا:

✧ **من تعلم من معلم ثم تصدق عليه وتعاون معه بالخير فأخذ ذلك وصيلة إلى التحاكم عليه — تقديما أو تأخيرا — وتحقيره وعد م المبالة به!!**

فقد قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

وبعضهم أخذ ذلكم وسيلة للتحاكم على المعلم والتعالي عليه، ولا شك أن هذا يعتبر من أقبح سوء الخلق مع أهل العلم والدين، ولربما أفرط بعض أفراد لهذا الصنف فصاروا ماكرين بهذا الداعي والمعلم، وربما تجد بعضهم غادروا المعلم فيما اتفقوا فيه معه حول الدعوة شؤونها وخانوا الأمانة التي كانت بينه وبينهم من غير مبالة ولا مشاورة معه وقد ثبت عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا جَمَعَ اللهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُرْفَعُ لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ، فَقِيلَ: هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ» [١].

---

[١] أخرجه مسلم في "صحيحه" (١٧٣٥).

وقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١].

وقال سبحانه: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٤].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧].

وقال: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ [المعارج: ٣٢].

ويعتبر أيضا من أفعال المنافقين قال الله تبارك وتعالى واصفا للمنافقيم ومكرهم: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا وَلِلهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون: ٧].

وفي الحديث المشهور عن عبد الله بن عمرو ﷺ أن النبي ﷺ قال: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا - أَوْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْ أَرْبَعَةٍ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ - حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ» [١].

وقد قال سبحانه: ﴿اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللهِ تَحْوِيلًا * أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٣-٤٤].

---

[١] متفق عليه (خ/ ٣٤) و(م/ ٥٨).

فلا يستغرب – بعد هذا – أن هذا الصنف من الناس قد يجتمع في بعض الليالي لأجل رفع الشكوى إلى السلطان ليسجن معلمهم أو يمنع من التدريس أو يطرد من البلد... وقد قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

ومنهم كذلك:

✧ **من يسرق البحوث وما فيها فيكتب عليها اسمه ويجعلها من جملة كتبه.**

فيطلب البحث عن طالب غير معروف ليقرأ فيه فيسرق منه الفوائد – بل ربما البحث بكماله! – ثم يترك هذا البحث ولا يقدم له ولا يذكره أبدا كما تقدم في أول هذه الرسالة في ذكر قصة علي الرازحي – هداه الله –، أو – مثلا – ما صدر من محمد "الإمام" وكتابه "الإبانة" المزعوم الذي إنما في الحقيقة سرقه من علي الحلبي الحزبي (!) الذي سرقه – أصلا (!!) – من حزبي آخر – نسيت اسمه – ثم زاد عليه ونفصه من هنا ومن هنا ثم وضع عليه اسمه... [١] وكفى لهما فضيحة ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ومن هذا الصنف أيضا!:

---

[١] كما أفادنا بذلك شيخنا الحبيب أبو عمار ياسر الدبعي – حفظه الله تعالى – في بعض الصوتيات له جزاه الله خيرا عن الإسلام والمسلمين.

✧ من نقل عن إمام مشهور - كابن رجب أو ابن تيمة مثلا - مقالة جميلة جدا ولا ينسبها إلى قائلها متوهما للناس أنه هو قائلها... [١]

ومنهم كذلك:

✧ من تكلم وحَكم في مسألة فقهية أو في فنّ من الفنون الشرعية فنسب قوله وحكمه إلى إمام معين وأشار إلى مصدر من المصادر العلمية مَوهِما بأن ذلك الإمام قال بنفس القول وليس الأمر كذلك.

فلما ذهب الباحث إلى المصدر المذكور لم يجد الترجيح المزعوم وإنما وجد ذِكر المسألة عموما أو إشارة بل، - وهذا أشد - ربما لم يجد المسألة مذكورة أصلا!!

فهذا النوع من سرقة الدعوة لا شك ولا ريب أنهم سيفضحهم الله على يدي الباحثين في العلوم الشرعية عند اطلاعهم على أصل المقولة عاجلا أو آجلا وإن لم يحصل في هذه الدنيا فقد قال الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ * مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ * وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ * وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا

---

[١] وأما إذا كان قد نسي من قائل هذه المقالة فكما تقدم بيانه له أن يقول: "قال بعض السلف" أو "قال أهل العلم" أو نحوه.

بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ * وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ * فَلَا تَحْسَبَنَّ اللهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ * يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ * وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ * سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ * لِيَجْزِيَ اللهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ * هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [إبراهيم: ٤٢-٥٢].

ومما يضيف إلى هذا النوع من أنواع التدليس الخفي:

✧ محاولة إخراج مسألة اختلف فيها أهل العلم على عدة أقوال إلى التلبيس بأنها مسألة إجماع لا خلاف فيها.

وذلك لأجل تبديع وتفسيق من قال بالقول الثاني وذلك بأساليب عديدة

- **ومنها**: الطعن في الإمام الذي خالف فيه ومحاولة إسقاط قوله.
- **ومنها**: القول بعدم العلم بالمخالف عند أهل السنة.
- **ومنها**: إضافة القول المخالف إلى أهل البدعة والسكوت عمن قال به من أهل السنة.

✧ وكذلك: من ترجم كلاما أو خطبة أو محاضرة أو كتابا فزاد فيه كلاما منه — من غير استئذان — أو نقصه نقصا فاحشا حتى لا يبقى منه إلا ما راده منه...

وهذا تنبيه في موضعه ولا شك أنه يلحق بما نحن فيه، فإن العلم أمانة وقد أمرنا الله أن نؤدي هذه الأمانة إلى أهلها كما هي – من غير تغيير ولا تبديل – قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨].

وقال سبحانه: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٤].

وقد أمرنا الله بالإحسان في القيام بهذه الأمانة كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل: ٩٠] وقد أمرنا نبينا محمد ﷺ بذلك أيضا كما في حديث شداد بن أوس: «إِنَّ اللهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ». [١]

فمن لم يقم بالأمانة كما أمر به وغيرها فغير الكلام بغيره أو زاد فيه من قبل نفسه فقد خان هذه الأمانة فقد قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧].

وقد سألت شيخنا المحدث أبا عمرو الحجوري – حفظه الله ورعاه – عن مثل هذا التصرف فقال: "هذا لا يجوز". اهـ

[١] **صحيح**. أخرجه الترمذي في "جامعه" (١٤٠٩) وغيره وصححه الشيخان.

فصلٌ

في ذكر بعض أسباب الوقوع فيما مضى

اعلم بعد ذلك – أخي القارئ –، أن هذه أنواع الإنصراف والإنحراف عن الخير وطلب العلم والاستقامة عليه قد كثرتْ في هذه الأزمنة المتأخرة، وأن كلها لها أسباب وهي تلخيصا:

سوء القصد في طلب العلم.

من حب الشهرة والظهور مخالفا لقول الله تعالى: ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ**﴾ الآية [البينة: ٥]، ولقوله سبحانه: ﴿**أَلَا لِلهِ الدِّينُ الْخَالِصُ**﴾ [الزمر: ٣]، ومخالفا لحديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**لَا تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ لِتُبَاهُوا بِهِ الْعُلَمَاءَ، وَلَا لِتُمَارُوا بِهِ السُّفَهَاءَ، وَلَا تَخَيَّرُوا بِهِ الْمَجَالِسَ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَالنَّارُ النَّارُ**». [١]

قلة الشعور بالأمانة العلمية.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿**إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا**﴾ [الأحزاب: ٧٢].

---

[١] **تقدم أنه حسن**. أخرجه ابن ماجه (٢٥٤) وغيره وصححه العلامة الألباني رحمه الله.

وقد ثبت عن قتادة رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قال: "﴿إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال﴾ يعني به: الدين". اهـ [١]

وقال ابن سيرين رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ دِينٌ». [٢]

النقص في الاجتهاد فيه.

فوقع في الكسل والتقصير العظيم المخالف لقول الله: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

فمفهومها: أن الذين لا يجاهدون فينا لا نهدينهم سبلنا.

الغفلة والجهل.

غفلة التي قد حذرنا منها ربنا جَلَّ جَلَالُهُ لما قال: ﴿وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥]، وقال سبحانه: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

وكذا الجهل قال تعالى: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٥].

الانشغال عنه بالدنيا.

تحقيقا لقول الله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ الآية [الأعراف: ١٧٥-١٧٤].

---

[١] "تفسير الطبري" (٢٠/ ٣٣٩) بسند حسن.

[٢] "مقدمة صحيح مسلم" (ص١٤).

كثرة المناقشة والكلام.

تحقيقا لحديث أبي أمامة ﷺ: «مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوتُوا الْجَدَلَ» ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف: ٥٨]. [١]

النقص في الصبر عليه.

المخالف لقول الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

النقص في العمل الصالح.

المخالف لقول الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ الآية [النساء: ٦٦] وقوله: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [سورة العصر].

الوقوع في بعض المعاصي والاستمرار عليها.

الموفق لقول الله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠] وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾ الآية [آل عمران: ١٥٥].

---

[١] **حسن**. أخرجه ابن ماجه في "السنن" (٤٨) وغيره وحسنه العلامة الألباني رحمه الله وقال العلامة مقبل رحمه الله: (حسن صحيح). اهـ

الجلوس عند أهل الأهواء وأصحاب الشبهات.

مخالفا لقول الله تعالى: ﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨] ولوقله: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨]، وللحديث «الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ» [١]، وقد قَالَ أَبُو قلَابَة رحمه الله وَكَانَ أدْرك غير وَاحِد من أَصْحَاب النَّبِي ﷺ: «لَا تُجَالِسُوا أَصْحَابَ الْأَهْوَاءِ»، أَوْ قَالَ «أَصْحَابَ الْخُصُومَاتِ؛ فَإِنِّي لَا آمَنُ أَنْ يَغْمِسُوكُمْ فِي ضَلَالَتِهِمْ أَوْ يَلْبِسُوا عَلَيْكُمْ بَعْضَ مَا تَعْرِفُونَ». [٢]

عدم الرجوع إلى أهل العلم فيما أشكل عليهم.

المخالف لقول الله تبارك وتعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ الآية [النحل: ٤٣]، ولقوله جل جلاله: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ الآية [النساء: ٨٣].

عدم الرجوع إلى الله بالدعاء وطلب الهداية.

المخالف لقول الله سبحانه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

---

[١] تقدم أنه حسن. أخرجه أبو داود (٤٨٣٣) وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه وحسنه العلامة الألباني رحمه الله.

[٢] صحيح. ذكره عبد الله بن أحمد في "السنة" (٩٩) وأخرجه الفريابي في "القدر" (٣٦٦) والدارمي في "مقدمة سننه" (٤٠٥) وغيرهم بسند صحيح.

ولقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

خاتمة

وأخيرا يقال لهؤلاء سرقة الدعوة كما قال الله تعالى في كتابه الكريم:

﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ * وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ * وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إبراهيم: ١٢-١٤].

فعلى هذا، فالحق وأهله منصورين - دائما وأبدا - ولا يضرهم من خذلهم أو خانهم أبدا كما وعده نبينا محمد ﷺ في الحديث المشهور «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ اللهِ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ» [١] وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وكتبه:

أبو عبد الله بلال الفرنسي الليوني

[١] متفق عليه (خ/ ٣٦٤١) و(م/ ١٠٣٧) واللفظ لمسلم من حديث معاوية ﷺ.

المحتويات

تقديم لفضيلة الشيخ أبي عمار ياسر الدبعي العدني.....٣

مدخل الرسالة.....٤

فصلٌ في فضل طلب العلم.....٧

فصلٌ في توضيح أنواع سَرقة ولصوص الدعوة.....١٠

✧ المبتدع يتعلم عند أهل السنة لأجل الدعوة إلى بدعته.....٢٢

✧ من تعلم عن معلم سلفي فلما رجع إلى بلده لم يجلس عند أهل السنة ولا يفيدهم بل: فتح دروسه للحزبيين.....٢٤

✧ من ينسب إلى السلفية أو عالم معين أو مركز ما وليس منهم أصلا لأجل صرف وجوه الناس إليه.....

✧ حزبي خبيث ماكر لما سئل عن أهل السنة "أين مسجدهم؟ أو مدرستهم؟ قال: نحن أهل السنة.....٢٥

✧ من كان منحرفا وحذر منه شيخ من المشايخ فلما مات ذلك العالم صار يثني على هذا العالم خيرا بل وربما ألف ترجمة له.....٢٦

✧ من يتعالم على الكتب أو "الانترنات" استقلالا وتعجبا بنفسه ولا يرجع إلى العلماء إلا فيما وافق قوله غالبا.....

✧ من تعلم في مركز من المراكز ثم ذهب دعوة ونصب نفسه للاجتهاد والفتوى ولم يكن من أهله ولم يرجع إلى العلماء أبدا.....٢٩

✧ من عجز عن طلب العلم فينصرف طاعنا في المعلم.....٣٠

✧ من استعجل على الخروج للدعوة والقيام بشؤونها دون أن يكمل دراسته وتربيته فصار مفسدا فيها.....٣٢

✧ من تعلم ثم فتحزّب واعتمد على علمه للدعوة إلى الحزبية.....٣٣

✧ من تعلم العلم ثم انصرف إلى الدنيا ولا يفيد غيره.....٣٦

✧ من يجلس عند عالم لأجل أن يستفيد من الدعوة – أكلا وشربا أو مالا أو زوجا – ولا يريد الإفادة لنفسه ولغيره أصلا.....٣٨

✧ من تعلم العلم لأجل الوظيفة الدينية أو الدنيوية.....٣٩

✧ من تعالم العلم القليل – أولا – ثم ذهب يعلق ويخرّج على الكتب المعتمدة فيضع عليها اسمه لأجل الشهرة أو أكل الثمن القليل.....٤٠

✧ من أكل أموال الدعوة وسرقها على طلاب العلم.....٤١

✧ من صرف أموال الدعوة إلى الجمعيات والحزبيين.....

✧ من يسرق الكتب على طلاب العلم.....٤٣

✧ الذين يتديّنون من المكاتب التجارية ثم ينصرفون أو يسافرون ولا يدفعون دَيونهم لأصحاب تلك الكتب أبدا.....٤٤

✧ من نظر في كتاب أخيه أو معلمه بغير استئذان سابق.....٤٥

✧ من تعلم من معلم شيئا ما، فلما ظهر له نقص معلمه جعل يحتقره.....٤٦

✧ من يجمع أخطاء معلمه على سبيل الانتقاد والطعن لا للنصيحة.....٤٧

✧ من كلّم أحد الدعاة والمشايخ في قضية خاصة فسجّل كلامه ونشره بين الناس بغير إذنه قصدا للتحريش واتساع الفتنة.....٤٨

✧ أن يتعلم من معلم فيأخوذ الفوائد منه ولا يشكره على ذلك وهذا تحته أنواع.....٤٩

✧ من تعلم عند معلم شيئا ما ثم حاول أن يخبب عليه طلابه.....٥٢

✧ من يتعلم عند معلم ثم يحاول على إسقاطه عن منزلته ومسؤوليته حسدا لأجل أن يقوم مقامه!.....٥٣

✧ من تعلم من معلم ثم تعاون معه بالخير فأخذ ذلك وسيلة إلى التحاكم عليه – تقديما أو تأخيرا – وتحقيره وعدم المبالة به!.....٥٤

✧ من يسرق البحوث وما فيها فيجعلها من جملة كتبه.....٥٦

✧ من نقل عن إمام مشهور – كابن رجب أو ابن تيمة مثلا – مقالة جميلة جدا ولا ينسبها إلى قائلها متوهما للناس أنه هو قائلها.....٥٧

✧ من تكلم وحَكم في مسألة فقهية فنسب قوله إلى إمام معين وأشار إلى مصدر من المصادر العلمية مَوهِما بأن ذلك الإمام قال بقوله.....

✧ محاولة إخراج مسألة اختلف فيها أهل العلم على عدة أقوال إلى التلبيس بأنها مسألة إجماع لا خلاف فيها.....٥٨

✧ من ترجم كلاما أو خطبة أو محاضرة أو كتابا فزاد فيه كلاما منه – من غير استئذان – أو نقصه نقصا فاحشا.....

فصلٌ في بيان أساب الوقوع في هذه الأنواع.....٦٠

الخاتمة.....٦٥